الباب الرابع

يقظة العالم الإسلامي ومجيء الحملة الصليبية الثانية

- ☆ استرداد الرُّها
- ☆ صمود دمشق في وجه الصليبيين
- ☆ معركة حطين واسترجاع بيت المقدس
- ☆ حصار عكّا

يقظة العالم الإسلامي بعد الحملة الصليبية الأولى

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم **الموصل** فقط بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل رجل تركي مسلم اسمه (**مودود**) دعا هذا الرجل للجهاد ؛ فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو (**الرُّها**) واستطاع أن يفتحها ويقتل العدو المغتصب ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمن الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح .

في عام ٥٠٧ هـ ١١١٣ م، توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى (مودود) فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو **القدس**، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى مودود أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لاتزال تابعة له، وفي **دمشق** نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة فتربص له أحد رجال (**الحشاشين**) وهي فرقة باطنية ضالة، وقتلته غيلة، ولعل في ذلك قمة الخيانة أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المكلومة، ولكن هذا - كان ولا يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداء للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم .

د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ١١٥ .

معركة قسطوان ٥١٣ هـ ١١١٩ م

وُئدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة ناردين فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك به مرة أخرى نحو **الرُّها**، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة (**قسطوان**) استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودحرهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى . السويدان، المرجع السابق، ص ١١٦ .

من تاريخ الحشاشين الباطنيين

هم من غلاة الإسماعيلية ويطلق عليهم الغزارية ومؤسس دولتهم الحسن بن الصباح، وتذكر كتب التاريخ: أن فخر الدين الرازي كان يعلم الناس في حلقته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرّت، وبدأت تنشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين، فاغتالوا شرف الدولة مودود، ونظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، **وكل ذلك إرضاءً للصليبيين**، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية. وكان حد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد و يغتاله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله، ثم خرج لشيخ إلى داره، وفي ناحية من الطريق انفرد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر الرازي فصرعه أرضاً ثم جلس على صدره، وسل خنجره وقال: عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراده، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له: يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً لأن لهم حججاً ثقيلة وأخرى حادة !!. بتصرف عن د. محمد حامد الأحمري، أطراف القصة الجزائرية.

قال الذهبي: ثم سار المسلمون للغلا فنهبوا بلاد الفرنج وضياعهم ما بين القدس إلى عكّا. وردّت عساكر الموصل، وتخلَّف مقدّمهم مودود - عند طفتكين بدمشق وأمر العساكر بالقدوم بالربيع فوثب على **مودود** باطنيٌّ يوم جمعة فقتله، وقتلوا الباطنيّ. ودفن مودود عند دقاق بخانكاه الطواويس ثم نقل إلى إصبهان. العبر في خبر من غبر - (ج ١ / ص ٢٣٧)

وقال ابن القلانسي في "تاريخه": قام هو (**أي مودود**) وطفتكين حولهما الترك والأحداث بأنواع السلاح من الصوارم والصمصامات والخناجر المجردة، كالأجمة المشتبكة، فوثب رجلٌ لا يؤبه له، ودعا لمودود، وشحذ منه، وقبض بند قبائه وضربه تحت سرته ضربتين، والسيوف تنزل عليه، ودفن بخانقاه الطواويس، ثم نقل، وكان بطبرية مصحف أرسله عثمان رضي الله عنه إليها، فنقله طغتكين إلى جامع دمشق. الذهبي: سير أعلام النبلاء - (ج ١٩ / ص ٤١٠)

القائد التركي: عماد الدين زنكي (رحمه الله)

استطاع **عماد الدين زنكي** بفضل الله ثم بجهوده الميمونة: أن ينتزع من الصليبيين إمارة **الرُّها** التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م بزعامة بلدوين الأول وكان تحريرها في عام ٥٣٩هـ، وقد ساعد عماد الدين زنكي عوامل عديدة في فتح الرُّها من أهمها: تنامي حركة الجهاد الإسلامي حتى عصره وحصاد تجربة المسلمين في ذلك المجال، فلا ريب في أن التجارب السابقة أثبتت أن إمارة الرُّها مرشحة أكثر من غيرها لكي تكون أولى الإمارات الصليبية المعرضة للسقوط في أيدي قادة الجهاد الإسلامي حينذاك، وقد اجهدها أمر الإغارات المستمرة من جانب **أمراء الموصل** خلال فترة تزيد على أربعة عقود من الزمان على نحو مثل: (موتاً بطيئاً لها) إلى أن تم الاجهاز عليها في العام المذكور ويضاف إلى ذلك براعة عماد الدين العسكرية الذي فاجأ تلك الإمارة الصليبية بالهجوم. بعد أن أطمأن الصليبيون إليه وتصوروا أنه لن يهاجم فاستغل فرصة غياب أميرها جوسلين الثاني عنها، ووجه لها ضربته القاضية التي انتهت بإسقاطها، وهكذا أثبت ذلك القائد الكبير أنه اختار التوقيت الملائم لذلك العمل العسكري العظيم لقد حقق عماد الدين زنكي بفتح الرُّها: أهم إنجازاته التي قام بها ضد الصليبيين طوال مدة حكمه وكان لهذا النصر نتائج هامة في العالمين الإسلامي والنصراني ومن **أهم تلك النتائج على الإجمال**:

١- تأكد للمسلمين أن حركة الجهاد الإسلامي وصلت سن الرشد وتجاوزت المراهقة السياسية والعسكرية دون أن يكون ذلك إجحاف بإنجازات القادة السابقين على زنكي لاسيما الأمير مودود بن التونتكين وإذ كانت أولى الإمارات الصليبية تهاوت تحت أيديهم فإنها البداية، واليوم أسقاط الرُّها وغداً إسقاط باقي الكيان الغازي الدخيل، وهذا ما حدث فعلاً ومن الآن فصاعداً لن تعود عقارب الساعة إلى الوراء، بل التقدم إلى الأمام بكل ثقة وإباء.

٢- تأكد منطق التاريخ من أن مثل تلك الكيانات الصليبية الغير شرعية لن تستمر على الأرض المسلمة، لأن أبناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل وبالتالي عاد التجانس لمنطقة شمالي العراق ولم تعد الرُّها تمثل دور الفصل والكيان الصليبي الحاجز المانع من الاتصال بين كل من سلاجقة آسيا الصغرى، وسلاجقة الروم، وكذلك بلاد فارس.

٣- كما أدى سقوط الرُّها بمثل هذه الصورة إلى تحرك الحلف الدفاعي الاستراتيجي القائم بين الكيان الصليبي في الشرق والرحم الأم، فلم يكن ذلك الغرب يسمح لامتداده السياسي، والتاريخي في الشرق أن ينهار قطعة قطعة، بل لابد من التدخل من أجل إعادة الأمور إلى نصابها وإجهاز فعاليات **إمارة الموصل** ومن ثم كان قيام **الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٢هـ** وهي من النتائج المباشرة **لإسقاط الرُّها** وهو أمر يوضح لنا بجلاء، كيف أن قادة الجهاد الإسلامي حاربوا قوى عالمية، ولم تكن مجرد قوى محلية محدودة التأثير والفعالية، وأنهم بالفعل كانوا جزءاً من صراع قاري أو عالمي على نحو يجعل لهم مكانة بارزة في تاريخ المسلمين وقد مدح الشعراء الإنجاز الكبير الذي قام به عماد الدين لفتحه إمارة الرُّها.

فتوحات عماد الدين زنكي (حاكم الموصل) واسترداد الرُها سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٥ م

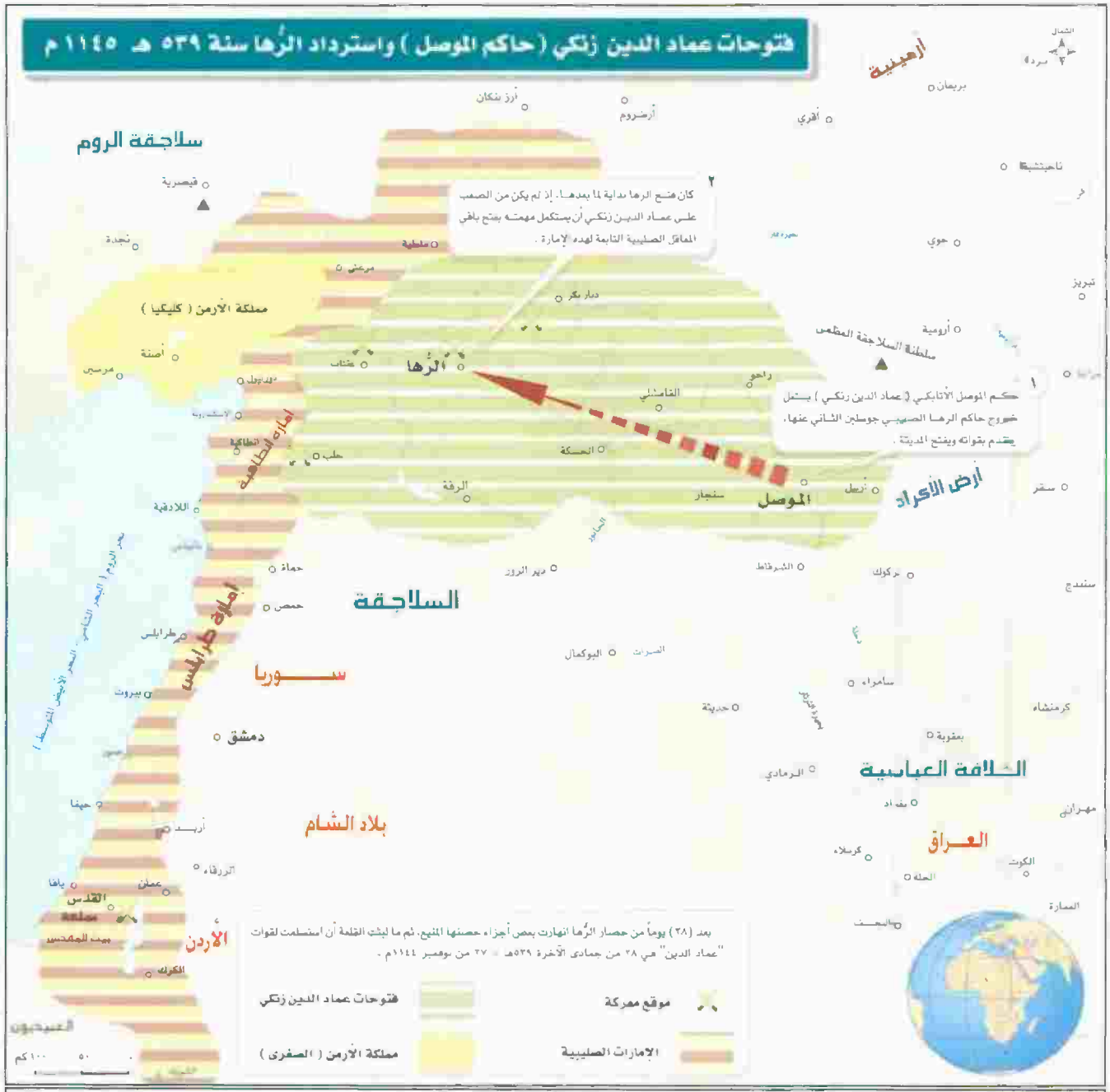

١ حكم الموصل الأتابكي (عماد الدين زنكي) يمثل خروج حاكم الرها الصليبي جوسلين الثاني عنها، بعد هروبه وفتح المدينة.

٢ كان فتح الرها بداية لما بعدها. إذ لم يكن من الصعب على عماد الدين زنكي أن يستكمل مهمته بفتح باقي المعاقل الصليبية التابعة لهذه الإمارة.

بعد (٢٨) يوماً من حصار الرُها انهارت بعض أجزاء حصنها المنيع، ثم ما لبثت القلعة أن استسلمت لقوات "عماد الدين" هي ٢٨ من جمادى الآخرة ٥٣٩هـ = ٢٧ من نوفمبر ١١٤٤م.

فتوحات عماد الدين زنكي
موقع معركة
مملكة الأرمن (الصغرى)
الإمارات الصليبية

آل زنكي :

ينتمي عماد الدين بن آق سنقر بن عبد الله آل ترغان إلى قبائل (السبايو) **التركمانية** وقد حظي والده أبو سعيد آق سنقر الملقب بقسيم الدولة، و معروف بالحاجب، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذي لعبه على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية، وكان آق سنقر من أصحاب السلطان ملكشاه الأول و أترابه، وقيل إنه كان لصيقه، ومن أخص أصدقائه. فقد نشأ الرجلان وترعرعا معاً، ولما تسلم ملكشاه الحكم عينه حاجباً له، وحظي عنده فكان من المقربين، ووثق به حتى أفضى إليه بأسراره، واعتمد عليه في مهماته، فكان أبرز قادته. ومن أقوى الدلائل على الحظوة التي حازها آق سُنقُر عند السلطان، منحه لقب "قسيم الدولة"، وهذا يعني الشريك، وكانت الألقاب في تلك الآونة مصونة لا تُعطى إلا لمستحقيها، ويبدو أنه قاسم ملكشاه شؤون الحكم والإدارة، بالإضافة إلى ذلك، فإن آق سُنقُر كان يقف إلى يمين سدة السلطنة ولا يتقدمه أحد، وصار ذلك أيضاً لعقبه من بعده. د. علي الصلابي، المرجع السابق

عندما تولى **عماد الدين زنكي الموصل** تسنى له أن يرى الأوضاع على الجهة الشامية عن قرب حيث كانت الصورة قاتمة: **فالصليبيون:** قد احتلوا معظم سواحل الشام، وأقاموا أربع إمارات صليبية بالبلاد الشامية، أما **المدن والحصون التي تحت حكم المسلمين:** فهي تعاني من الفرقة والإختلاف والتنافر، وربما التقاتل فيما بينها، فكل وال على مدينة يتعامل فيها كأنه ملك مستقل عن سائر البلاد، وأغلبهم بل كلهم يتقي شر الصليبيين ويتحاشى الصدام معهم خوفاً على ضياع ملكه وانهدام دنياه، وهذا الخذلان من بلاد الأمصار سهل للصليبيين مهمتهم وجعل وجودهم في الشام يترسخ شيئاً فشيئاً. أضف إلى ذلك أن الأمصار الإسلامية كلها تقريباً كانت في حالة فوضى واضطراب، فالخلاف على أشده بين أمراء البيت السلجوقي بعضهم بعضاً. كذلك الخلاف بين السلطان مسعود السلجوقي والخليفة العباسي المسترشد بالله على أشده. ومن خلال النظر في هذه الأوضاع كلها قرر عماد الدين زنكي أخذ زمام المبادرة والقيام بعمل لم يسبقه فيه أحد ووضع نصب عينه هدفاً عظيماً طالما حلم المسلمون بتحقيقه ولكن يتعد نطاقه الأحلام إلى الحقيقة، قرر البطل تحرير بلاد الشام من الوجود الصليبي، وحقق الله له ما أراد؛ حينما حرر إمارة الرُّها مكن قبضة الصليبيين الغزاة.

مدينة **الموصل** القاعدة الرئيسة لعماد الدين زنكي؛ لتحرير بعض الإمارات الصليبية في بلاد الشام

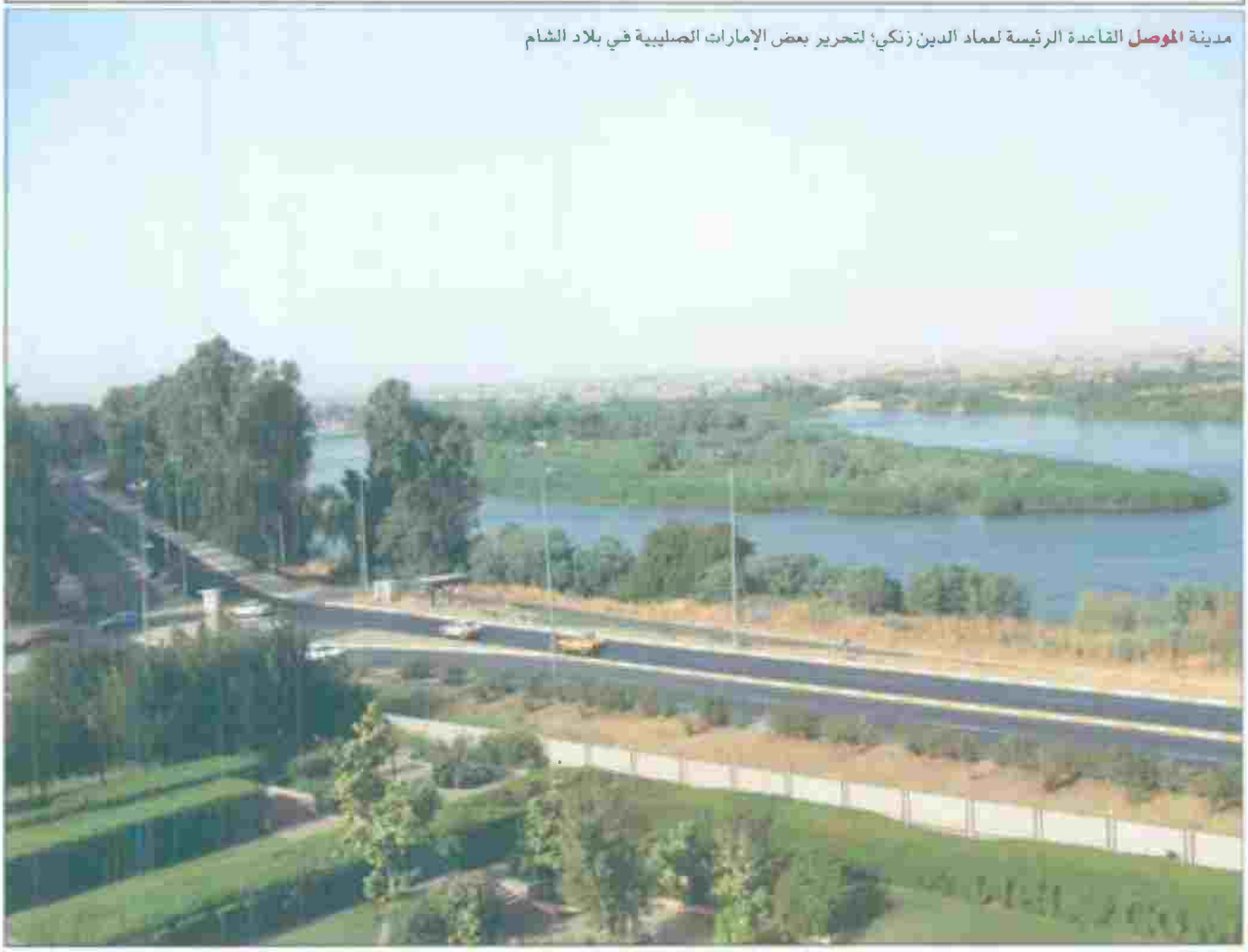

من المسلمات الأساسية في قتال أي عدو وطرد أي محتل وتحرير أي أرض: أن تكون جبهة المقاومة والدفاع واحدة صلبة مجتمعة. إذ كيف يجاهد المسلمون بصف مهترىء ممزق لذا كان أول ما سعى عماد الدين لتحقيقه: هو تكوين وبناء القاعدة الصلبة للمسلمين بتوحيد الجبهة الداخلية لسوريا، وربما كانت هذه المهمة هي أصعب مرحلة في مراحل الانتصار.

بدأ عماد الدين زنكي بمدينة حلب الهامة في المنطقة الشمالية من بلاد الشام في ١ محرم سنة ٥٢٢ هجرية أي بعد شهور قليلة من ولايته على الموصل مما يوضح أن هذا الرجل الفذ كان يملك خطة شاملة ورؤية واضحة معدة سلفاً لحركته بأرض الشام، ولم يكن ضمه لمدينة حلب بالشيء السهل فلقد ظل محاصراً لها عدة شهور قبل فتحها وكان عليها بعض الطامعين المتغلبين، ثم قام بعدها بضم مدينة حماة في السنة التالية ٥٢٣ هجرية، ثم ضم مدينة سرجى ودارا ثم حصن الأثارب وكان **بيد الصليبيين**، ثم انشغل عماد الدين زنكي بالخلافات العنيفة بين الخليفة المسترشد والسلطان مسعود بل تورط فيها وذلك لعدة سنوات، ثم عاد بعدها لهدفه الأسمى وضم عدة قلاع للأكراد الحميدية والهكارية وقلعة الصور وواصل سعيه حتى استقامت له **ديار بكر** و إقليم الجبال سنة ٥٢٨ هجرية.

استقامت معظم بلاد الشام لعماد الدين زنكي عدا ما كان بيد الصليبيين ودمشق قلب الشام وحاضرته، وقد حاول زنكي ضم دمشق سنة ٥٢٩ هجرية، ولكنه لم ينجح وبقيت خارج سلطته وبقي يخطط ويفكر كيفية الوصول إليها.

عملتان برونزيتان باسم الملك عماد الدين زنكي، الأولى سكت في نصيبين، والثانية سكت في سنجار.

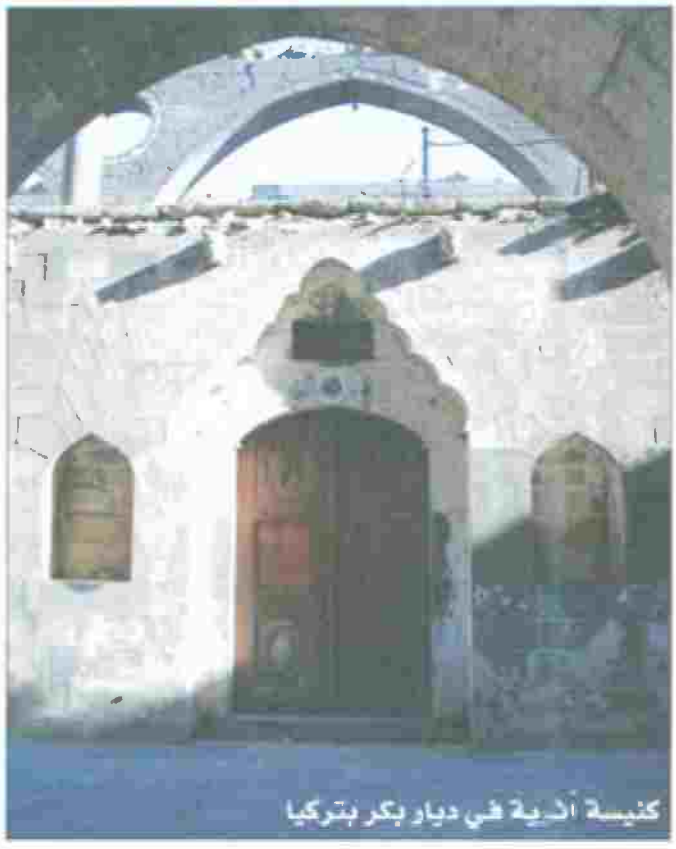

كنيسة آذية في ديار بكر بتركيا

القائد التركي؛ نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (رحمهما الله)

ولد **نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي**، في ١٧ من شوال ٥١١هـ، وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهم من خلال وفضائل، فكانوا جميعاً من رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم.

وبعد وفاة عماد الدين زنكي، اقتسم ولداه: سيف الدين غازي ونور الدين محمود دولته، فحكم الأول **الموصل** وثبّت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم **حلب**، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور في الجزيرة الفراتية، وكان كلا الأخوين مؤهلاً لما وجهته له الأقدار. فكان سيف الدين غازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نور الدين مجاهداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين، مفطوراً على الرقة ورهافة الشعور؛ وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على نور الدين أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب بشمال سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي.

مقتل عماد الدين زنكي؟

فكر الصليبيون في كيفية التخلص من **عماد الدين زنكي** وبعد تفكير وتقليب في من سيقوم بهذه المهمة قرروا إسناد مهمة الاغتيال إلى جماعة معروفة بذلك وبالعمل وهي؟ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ والبطل الذي عماد الدين زنكي يحاصر أحد القلاع المطلة على نهر الفرات واسمها **قلعة جعبر** قامت مجموعة من الباطنية بالاتفاق مع الصليبيين بعد أن فشلوا الفتن بالتسلل إلى معسكر عماد الدين زنكي والدسوا بين خيامه وفي الليل دخلوا عليه خيمته وهو نائم وقتلوه رحمه الله وهكذا مات البطل ورحل الفارس وحط الراكب بعد حياة طويلة كلها جهاد وكفاح ونصرة للإسلام وأهله، وبعد أن أحيا ما كان منذثراً وأعاد ما كان مفقوداً ووضع الأساس الذين أتى بناء بعده فرحمه الله رحمة واسعة وغفر له ما كان من خطايا وزلات.

استهل نور الدين حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة **أنطاكية** الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمالي الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة "**جوسلين الثاني**" لاستعادة **الرُّها** التي فتحها عماد الدين زنكي وكانت هزيمة الصليبيين هي الأولى أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من **أرمن** الرُّها، وخاف بقية أهل البلد من النصارى على أنفسهم فغادروها.

كان نور الدين دائم السعي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودها وصداقتها؛ لتستطيع مواجهة الغزو الصليبي، فعقد معاهدة مع "معين الدين أنر" حاكم **دمشق** سنة (٥٤١هـ = ١١٤٧م) وتزوج ابنته. فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف لم يجد غير نور الدين يستجير به، فخرج إليه، وسارا معاً صاحب دمشق، ونور الدين، واستولوا على **بصرى وصرخد** في جنوبي سوريا قبل أن يقعا في يد الصليبيين، ثم غادر نور الدين دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا في القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة أنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرفوت وغيرها.

وعلى أثر ذلك ملك الرعب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الدين، وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أملهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنه إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً.

وفي سنة (٥٤٣هـ = ١١٤٧م) وصلت **الحملة الصليبية الثانية** على الشام بزعامة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، كما سيتضح لنا في الصفحة ما بعد القادمة، وعجزت عن **احتلال دمشق** أهم مدن الشام. **ويرجع الفضل في ذلك لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم**. وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هذه النكبة التي حلت بالصليبيين وشاع هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ = ١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= أخر يونيو ١١٤٩م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وعدد من قادة الفرنج.

الموقف أمام على الساحة الشامية بعد مقتل عماد الدين زنكي

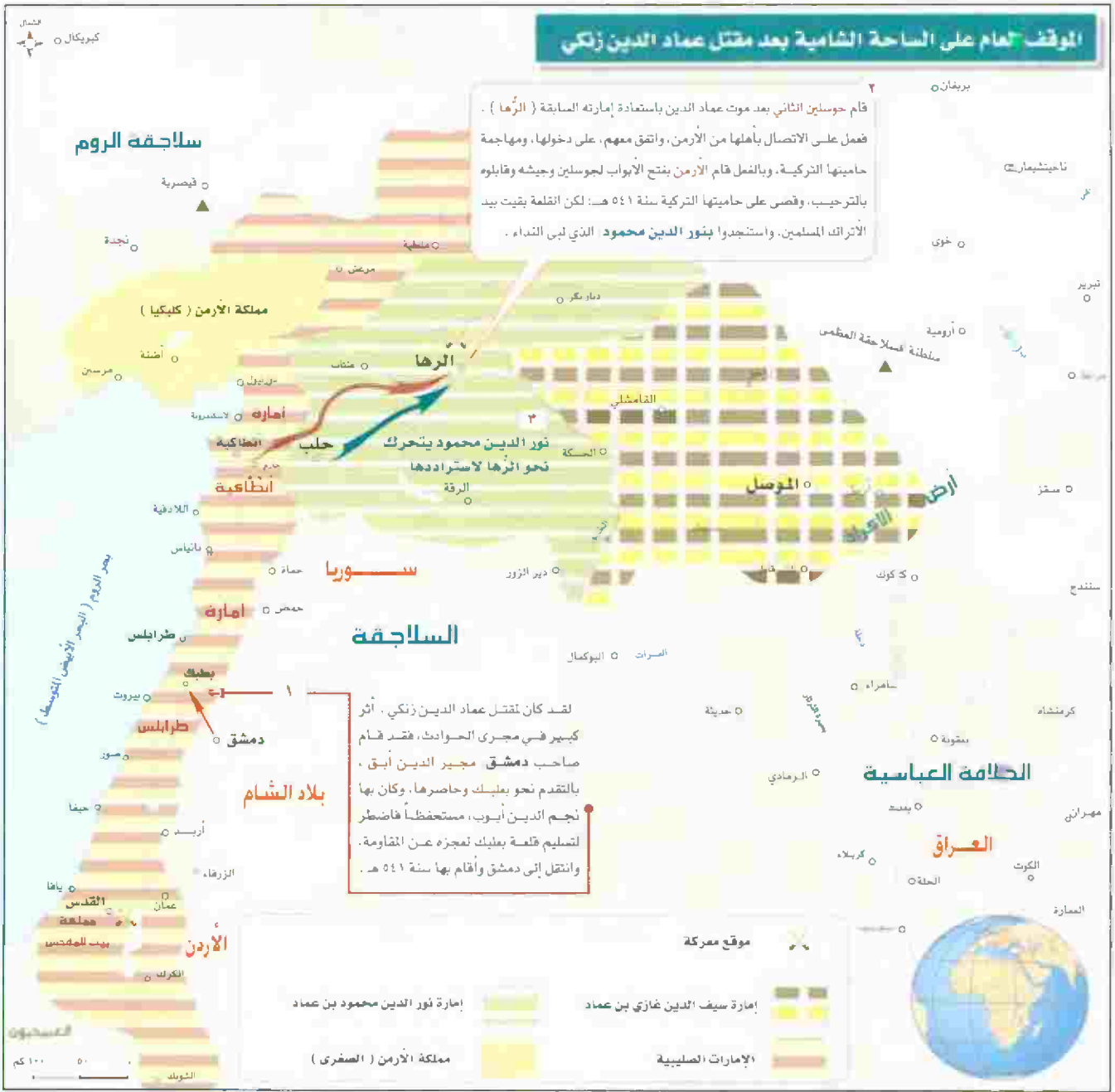

٣ لم يقف نور الدين محمود مكتوف اليدين أمام ما جرى على أرض الرُّها، حيث لبى طلب الحامية التركية المتمركزة فيها، وأسرع من حلب على رأس جيشه ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم، في زهاء عشرة آلاف فارس، قاصداً الرُّها . ولما وصل إليها أقام الحصار عليها. فيما كانت الحامية التركية في القلعة تمطر المحاصرين بسهامها، فتزرع الفوضى بينهم، وتبددهم. وعندما تحقق جوسلين من قوة الحصار، وتراخي مقاومة الأرمن، وتباطؤ الأفرنج بالمجيء لمعاونته، حاول الخروج من المدينة مع أهاليها الأرمن، واقتحموا جميعاً، جيش المسلمين، بغية اختراقه، والافلات من الطوق، بالهرب، ولكن أين لهم أن ينفذوا ؟ وقد أحاطت بهم قوى ذلك الجيش من جميع الجهات بسرعة، وأطبقت عليهم فأبادتهم، ولم يسلم من جيش أمير الرُّها السابق، سوى قلة ضئيلة من فرسانه، استطاعوا الفرار برفقته لسرعة جيادهم. أما الأهالي الأرمن الذين وقعوا بيد نور الدين، فقد عوقبوا بما يستحقونه، فهلكوا جميعاً، ومن لم يقتل منهم، أسر وبيع رقيقاً في أسواق حلب في ٣ تشرين الثاني سنة ١١٤٦ م - ٥٤١ هـ وكانت حصيلة هذا الخطأ الذي ارتكبه جوسلين الثاني، بدخوله الرُّها، بعد فتحها من قبل عماد الدين، ما ينوف عن ٤٥٠٠٠ ضحية، ما بين قتيل وأسير من إفرنج وأرمن، وبعد هزيمته، لجأ جوسلين الثاني إلى سُميساط وتحصن في قصره على الجانب الآخر من الفرات .

الحملة الصليبية الثانية

سنة ٥٤١هـ - ٥٤٣هـ - ١١٤٧-١١٤٩م .

قادة الحملة : كورنراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا.

سبب الحملة :

استطاع المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين محمود من استرجاع **الرُّها** من أيدي الصليبيين كما أوضحنا في الصفحات السابقة.

وتحتل الرُّها مكانة دينية كبرى لدى النصارى - لكثرة ما فيها من الأديرة والكنائس، ويؤمن النصارى : أن بكنيستها العظمى منديل المسيح عليه السلام، كما بها معالم إسلامية: كجامع ينسب للخليل عليه السلام، وأماكن أخرى - فخشي الأوروبيون بعد فقدان الرُّها على مصير الإمارات الصليبية الباقية نتيجة لهذه الصحوة الإسلامية.

وكان الداعي المحرض لهذه الحملة الصليبية **الراهب الفرنسي** (سان برنارد) وكان البابا إذ ذاك (أوجان الثالث) ، حيث عقد مجمع كنسي في مدينة فيزولاي في مارس ٥٤٠ هـ - ١١٤٦ م، واستجاب لذلك ملك فرنسا (لويس السابع) وإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث).

الراهب الفرنسي (سان برنارد) وهو يحرض في حشد من الناس لحملة صليبية ثانية

سار إمبراطور ألمانيا مع نفس مسار الحملة الأولى واصطدم مع السلاجقة الأتراك المسلمين في **قونية** مما أدى إلى رجوعه إلى **نيقية** ثم **القسطنطينية** لاستخدام سفن حربية للوصول لبيت المقدس بحراً: بينما سلك لويس الفرنسي طريق الساحل الأناضولي (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة لتوضيح ذلك). ثم واصل من أنطاكية إلى بيت المقدس حيث كان يريد اللحاق بملك ألمانيا قبل أن يصل إلى بيت المقدس. **فسار أكبر جيشين في أوروبا الغربية** لاسترداد **الرُّها** وتعزيز الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي .

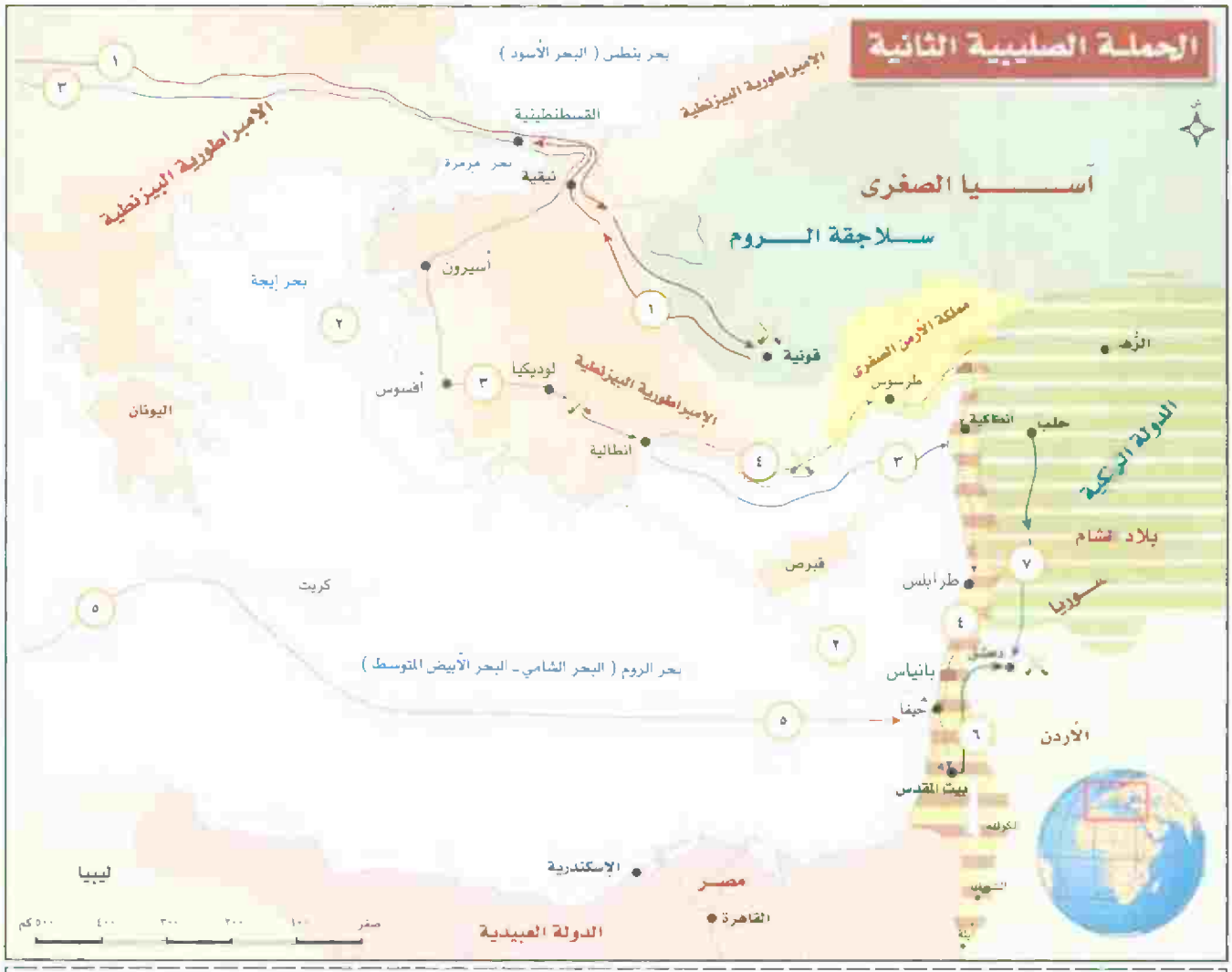

الإمبراطورية البيزنطية	١ إمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث)
سلاجقة الروم	٢ المسار الآخر لإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث)
الدولة العبيدية	٣ ملك فرنسا (لويس السابع)
الإمارات الصليبية	٤ الفرع الآخر لملك فرنسا (لويس السابع)
الدولة الزنكية	٥ إمدادات بحرية صليبية أخرى
مملكة الأرمن الصغرى	٦ الجيوش الصليبية تتجه لحصار دمشق
أراضي إسلامية	٧ نور الدين محمود يتوجه لمساعدة حاكم دمشق
	مواقع معارك مع الصليبيين

الصليبيون على أبواب دمشق

في سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، عجزت عن احتلالها ويرجع الفضل لله سبحانه ثم لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم، إضافة للقوات المساعدة التي جاءت مع سيف الدين غازي من الموصل لتشكل مع أخيه نور الدين محمود سداً منيعاً أفشل خطة الصليبيين وحملتهم.

قوات نور الدين محمود لمساندة حاكم دمشق ضد الصليبيين.

قوات سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي وهي قادمة من الموصل لمساندة جيش أخيه نور الدين محمود أثناء حصار دمشق.

تابع "لويس السابع" سيره إلى "بيت المقدس"، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن وللمرة الثانية انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن أهدافها، عندما تم عقد مجلس صليبي كبير، ضم "لويس السابع" و"كونراد الثالث"، الذي سبقه إلى "بيت المقدس"، والملك "بلدوين الثالث"، وأمراء مملكة "بيت المقدس"، وعدداً كبيراً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين، حيث اتفق الجميع على مهاجمة "معين الدين أنر" حاكم "دمشق" الفعلي، **الذي كان حليفاً للصليبيين**، ولكن **نور الدين زنكي حاكم حلب**: تناسى غدر حاكم دمشق به ووقف بجانبه. وبالفعل، جهّز الصليبيون جيشاً لهذه الغاية وزحفوا إلى دمشق (ربيع الأول ٥٤٢ هـ = حزيران ١١٤٨م) فحاصروها، ولكن أهالي دمشق تصدوا لهم بقوة بمشاركة الزهاد والفقهاء في القتال، الذين كان لهم دور كبير في إذكاء شعلة الصمود والتصدي، وبدأت قوات "معين الدين أنر" تتزايد، وتدفقت النجدات إلى "دمشق" من الأبواب الشمالية، وهو ما جعل الصليبيين يتحولون من الهجوم إلى الدفاع.

والذي زاد من حراجة الموقف الصليبي هو تلك الشقاقات والخلافات التي وقعت بينهم حول تبعية "دمشق" ومصيرها، وأحقية كل فريق منهم في ضمها إليه في حالة سقوطها والاستيلاء عليها.

قادة الحملة الثانية ملك فرنسا "لويس السابع" وإمبراطور ألمانيا "كونراد الثالث" والملك "بلدوين الثالث" ملك بيت المقدس، يتوجهون لحصار دمشق.

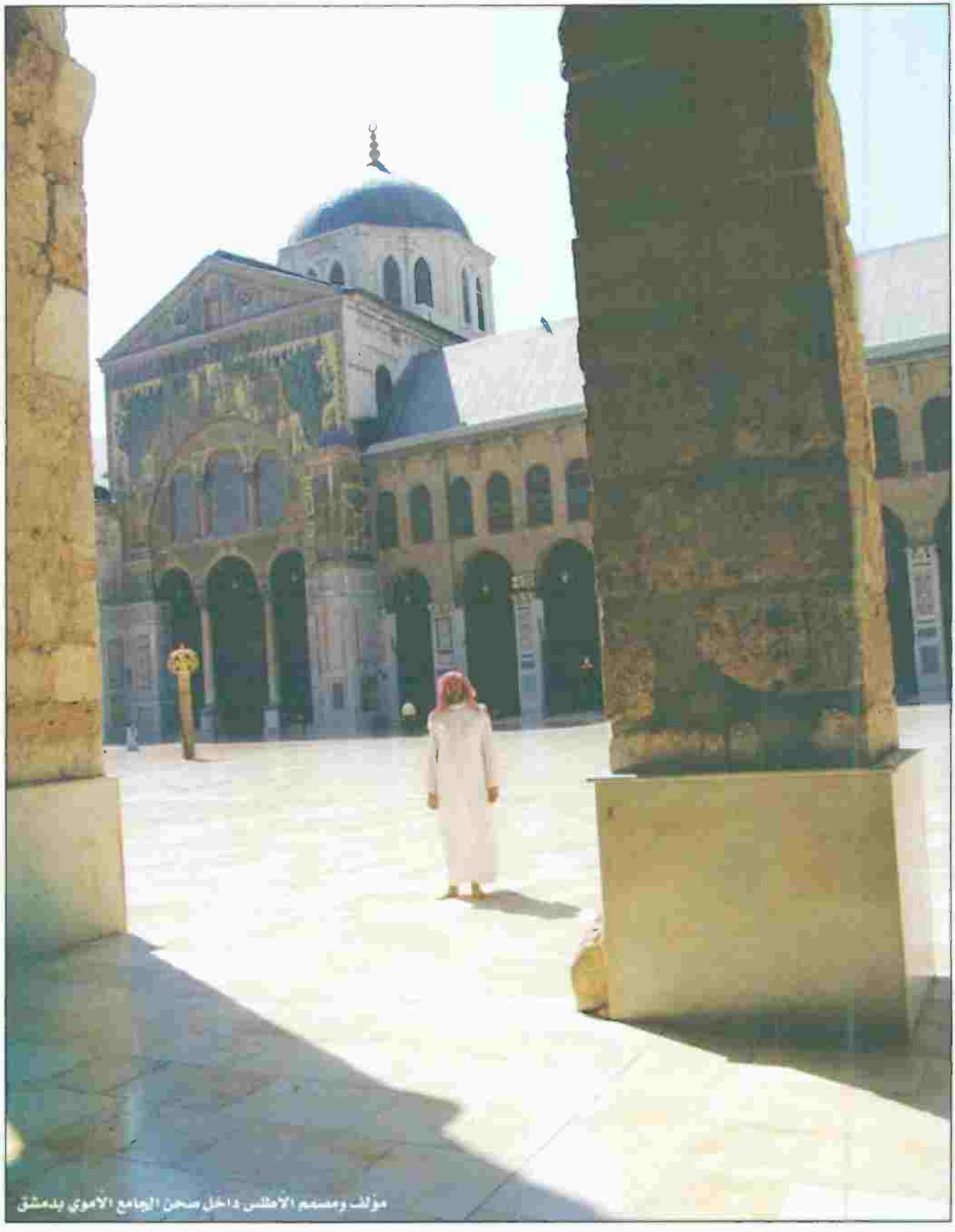

مؤلف ومصمم الأطلس داخل صحن الجامع الأموي بدمشق

فتوحات نور الدين محمود على أرض الشام

٣ في هذه السنة ٥٦٠ هـ ، سار نور الدين محمود بن زنكي إلى **قلعة حارم**، وهي للفرنج، ثم لبيمند ، صاحب أنطاكية. وهي تقارب أنطاكية من شرقيها، وحصرها وضيق على أهلها. وهي قلعة منيعة في نعور المسلمين، فاجتمعت الفرنج بالقرب منها ومن بعد، وساروا نحوه ليرحلوه عنها. وكان بالحصن شيطان من شياطينهم يعرفون عقله ويرجعون إلى رأيه. فأرسل إليهم يقول إننا نقدر على حفظ القلعة، وليس بنا ضعف، فلا تغاطروا أنتم باللقاء، فإنه إن هزمكم أخذها وغيرها، والرأي مطاولته؛ فأرسلوا إليه وصالحوه على أن يعطوه نصف أعمال حارم، فاصطلحوا على ذلك، ورحل عنهم . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج٥ ، ص ٦١

٤ فتح نور الدين محمود؛ حصن أفاميا من الفرنج وهو مجاور شيزر وحماة على تل عال من أحصن القلاع وأمنعها، فسار إليه نور الدين وحصره وبه الفرنج وقاتلهم وضيق على من به منهم .

٢ في عام ٥٤٦ هـ ١١٥٢ م، أعلن حاكم دمشق؛ تبعيته لنور الدين محمود، وفُتحت دمشق لنور الدين محمود، ودخل دخول الفاتحين، واستقبله أهالي دمشق بالتهليل والتكبير والتحميد، فأقام الشرع، وساس بالعدل بين الرعية .

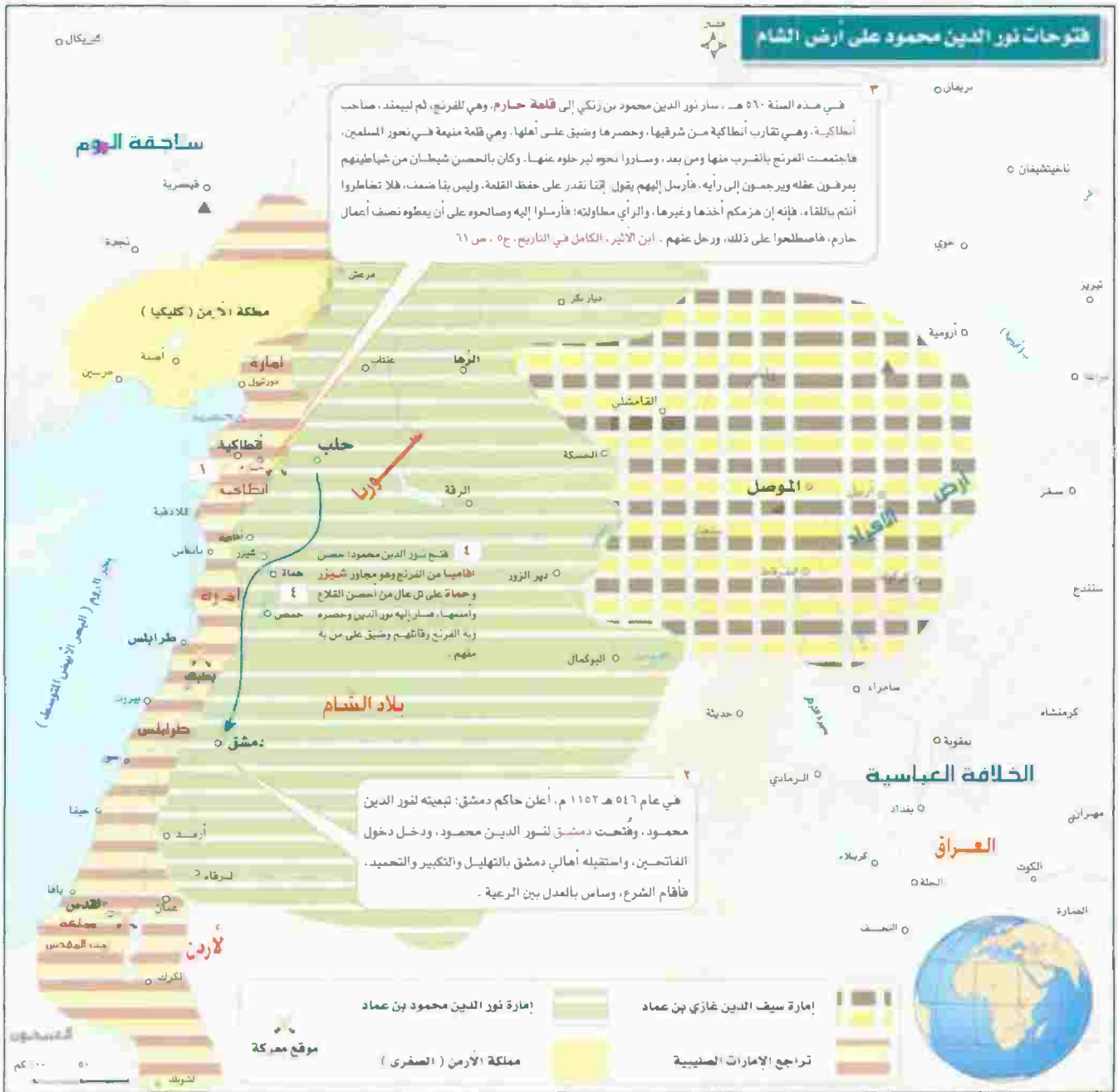

١ استغل **نور الدين** هذه النكبة (الفشل في حصار دمشق) ، والتي حلّت بالصليبيين وضياع هيبتهم للهجوم على **أنطاكية** بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤هـ=١١٤٩م) الإقليم المحيط بقلعة **حارم** الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها. والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤هـ= آخر يونيو ١١٤٩م) **ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج** وممن قال فيه القيسراني في قصيدته المشهورة التي أولها:

هذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذي المكارم لا ما قالت الكتب — وهذه الهمم اللاتي متى خطبت ... تعثرت خلفها الأشعار والخطب

صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ... براحة للمساعي دونها تعب — ما زال جدك يبني كل شاهقة ... حتى بنى قبة أوتادها الشهب

أغرت سيوفك بالإفرنج راجفة ... فؤاد رومية الكبرى لها يجب — ضربت كبشهم منها بقاصمة ... أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب

طهرت أرض الأعادي من دمائهم ... طهارة كل سيف عندها جنب

مدخل قلعة شيزر

قلعة شيزر : شيدت على أكمة صخرية تحاذي نهر العاصي من الغرب يعود تاريخ بناء القلعة إلى الفترة السلوقية نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وقد حارب أمراء شيزر الصليبيين في افاميا أثناء حروب الفرنجة واستمر بنو المنقذ في حكم شيزر وجوارها حتى عام ٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م عند وقوع الزلزلة الكبرى التي أفنت سلالة بني المنقذ ولم ينجو إلا الأمير أسامة الشاعر المشهور . وقد اعاد نور الدين زنكي بناء القلعة وولى عليها مجد الدين بن الداية .

من آثار العاصي

قلعة الضيق (أفاميا)

تقع قلعة الضيق غربي مدينة أفاميا وتتربع في منظر مهيب مطل على المنعطفة وهي إحدى القلاع الكثيرة المنتشرة على امتداد جبال الساحل السوري. ويعتقد أن القلعة كانت أكروبولاً لها ثم أصبحت في العهد الروماني موقعاً حربياً وهي قلعة جميلة تتربع بالقرب من أفاميا. أما حالياً فيعتبر بناء الحصن عربي وكذلك الحفار عند مدخله. والبناء العربي للقلعة هي من آثار نور الدين محمود بن عماد زنكي، والقرية التي داخل الحصن كبيرة حافلة بالدور قليلة من أنقاض السور والأبراج ومباني أفاميا القديمة. للقلعة سور عظيم مرتفع على هيئة مضلع غير منتظم، ركبت عليه أبراج كثيرة مربعة الشكل. وللقلعة باب كبير تعلوه قنصلة يحوله برجان مربعان للحراسة.

ومعظم السور ما زال بحالة جيدة ماعدا أحجار التضاريس التي كانت عليه التي تهدمت في بعض جوانبها لا في القسم الغربي من السور. لم يجد الصليبيون على القلعة أي أثر جديد بعد أن استولوا عليه عام ١١٠٦م واستقروا فيها وجعلوها معقلاً حامياً فحاصرتهم أفطاكية على حد حل السوري وبقيت في حوزتهم حتى استخلصها نور الدين زنكي عام ١١٤٩م، وقد صابتها لزلازل في أوائل القرن ١٢ (١١٥٧م) فهدمت معظم منشآتها وأمر نور الدين زنكي بإعادة ترميمها وإعادة بناء سورها.

لقطة ثانية للجامع الأموي بدمشق

تركز النشاط العلمي في **الجامع الأموي** على تدريس القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقه، كما عُقدت في هذا الجامع العديد من مجالس الإملاء والسماع اجتمع إليها عدد من العلماء وطلاب العلم حتى أصبح هذا **الجامع** من أبرز مواطن الثقافة في دمشق تناوب فيه جلّة من أعلام العلماء الذين لا تزال أسماؤهم لامعة في ميادين العلوم الشرعية، ولا تزال آثارهم ومؤلفاتهم باقية حتى اليوم **ويصور أحد الشعراء المعاصرين للملك نور الدين محمود، وهو علي بن منصور السُروجي** المتوفى سنة ٥٧٢هـ (١١٧٦م) نشاط التعليم في هذا الجامع في قصيدة وصف بها النشاط العلمي الذي شهدته دمشق في العهد الزنكي فيقول :

كأنها جنة للخلد دانية
❖❖ قُصُورها فتحت منها المقاصير
في كل قطر بها للعلم مدرسة
❖❖ وجامع جامع للدين معمور
يُتلى القرآن به في كل ناحية
❖❖ والعلم يذكر فيه والتفاسير
تكامل الحسن فيه مثل ما كملت
❖❖ أوصاف مولى بنشر العدل مشهور
الملك والدّين قد دانا بأجمعهما
❖❖ وللخليفة من أنواره سُورُ [1]

١ - د. علي محمد محمد الصلابي عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي

الصراع على ضم مصر بين نور الدين والصليبيين

كان فتح **مصر** من أعظم منجزات **نورالدين محمود** - رحمه الله -، فقد تمكن من إسقاط **الدولة الفاطمية العبيدية**، التي استمرت أكثر من قرنين تنشر الفساد السياسي والخلل العقدي في أنحاء العالم الإسلامي، فهي التي أعانت الصليبيين في احتلال بلاد الشام بتحالفها وتآمرها معهم وهي التي تبنت المذهب الباطني ونشرته في ديار المسلمين، وعندما سادت الفوضى إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء بالأمر دون الخلفاء، طمع الصليبيون بغزو مصر فهاجموها المرة تلو المرة وعندها جرد نور الدين محمود حملاته العسكرية لتخليص مصر من مطامعهم، ولإعادة أرض الكنانة إلى منهج أهل **السنة والجماعة**، وجمع كلمة المسلمين، ويمكن تلخيص أبرز الدوافع التي أدت إلى غزو مصر ما يأتي:

الدافع الأول: حالة الفوضى التي سادت مصر آخر أيامها فقد أصبحت الدولة تعاني كثيراً من مظاهر الانحلال والفساد، حتى صار من الأمور الشائعة، أن يصبح الخليفة أو الوزير مقتولاً، خلال الصراع الدائر بين الوزراء أنفسهم، أو بين الوزراء والخلفاء فقد قتل الظافر على يد وزيره، وتحكم الوزراء فيمن جاء بعده وفي اختيار من يشاءون، وقتل الوزراء بعضهم بعضاً، فقد تولى الوزارة في عام واحد ثلاثة وزراء: **العادل بن رزيك، وشاور وضرغام**، فضعفت الدولة وسادة الفوضى في البلاد ومن أواخر هذا الصراع خروج شاور من مصر، بعد أن طرده "ضرغام" ومن ثم استنجاده بنور الدين محمود، الذي وجد الفرصة مواتية لتوحيد الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ومصر.

الدافع الثاني: إن مطامع الصليبيين شجعت القائد المجاهد نور الدين على التفكير جدياً بضم مصر إلى الجبهة الإسلامية، كما أن تلقيه العهد من الخليفة العباسي باطلاق يده في بلاد الشام ومصر عام ٥٤٩هـ شد من عزيمته لإنجاز هذا الأمر.

الدافع الثالث: من أقوى الأسباب التي أدت إلى القضاء على الخلافة الفاطمية العبيدية، العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد. إسماعيلية المذهب فرقت وحدة المسلمين وتآمرت مراراً مع أعدائهم. فكان لابد من إقامة وحدة قوية في عقيدتها، شرعية في توجهها تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام[1].

مسألة في العبيديين

يقول ابن قيمية - موضحاً رأي أهل السنة في طوك الدولتين الأموية والعباسية -: "ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو النبي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به، بل كذا وقع، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة؛ فانتظم لهم الأمر، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجُمَع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" وعندما طعن العلماء في نسب العُبيديين الذين كانوا بمصر والذين تسموا (بالفاطميين). وقالوا: ليس لهم أي صلة نسب علي ابن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبي الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقرباً وتملقاً للخليفة العباسي ببغداد، كما يريد أن يصورهم البعض، وهؤلاء أجل من أن يشهدوا زوراً من أجل الخليفة. مجلة البيان، ج٤، ص ٩٠.

---

١ - بتصرف عن د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ص ١٣

الدولة الزنكية في أقصى اتساع لها

على عكس الحكام الصليبيين، كان الحكام المسلمون يحترمون الدين ويحترمون العلماء. فقام شاور بقتل العادل لأنه ظلم الرعية. فقام شاور من مصر إلى الشام، لجأ شاور إلى القائد **نور الدين محمود** لمساعدته لإقصاء ضرغام، وأخذ يغري نور الدين بدخول مصر بصفتها البوابة الحنوبية للصليبيين التي ينبغي تضييق الخناق عليهم منها. استجاب نور الدين لذلك، فدحر الغزاة الصليبيين، ووعد (شاور) نور الدين بإمداده بالجيش والعتاد إذا ساعده لإعادة حكمه في مصر: فوجه نور الدين قائد جيشه (أسد الدين شيركوه) وبصحبته ابن أخيه الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي. انطلقت الحملة سنة (٥٥٩هـ = ١١٦٤م) واستمرت نحو خمس سنوات وفشلت عدة مرات بسبب خيانة صاحب مصر وتعاونه مع الصليبيين والفساد المتفشي، حتى تمكن الزنكيون من دخول مصر مرة ثالثة وقتل شاور الخائن وتعيين شيركوه وزيراً عليها.

مصر تحت حكم الدولة الزنكية

كان **نور الدين محمود** يرى إزالة **الدولة العبيدية** هدفاً استراتيجياً للقضاء على **الوجود الصليبي**، و**النفوذ الباطني** في بلاد الشام، ولذلك حرص على إعادة مصر لعقيدة أهل السنة والجماعة؛ فوضع الخطط اللازمة وأعد الجيوش المطلوبة وعين الأمراء ذوي الكفاءة المنشودة فتم الله له ما أراد على أيدي جنديه المخلصين (أسد الدين شيركوه) وابن أخيه الفتى اليافع والقائد الصالح يوسف صلاح الدين الأيوبي، والأخير طبق سياسة نور الدين الحكيمة الرشيدة، وحق للأمة الإسلامية وزعمائها أن تفرح بهذه البشرى الكبيرة من إزالة هذه الدولة الباطنية. فلما انتهى الخبر إلى **الملك العادل نور الدين** بالشام أرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يعلمه الخبر مع ابن أبي عصرون فزينت بغداد، وغلقت الأبواب وعُملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً وكانت الخطبة قد قُطعت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي حين تغلب العبيديون (الفاطميُّون زوراً) عليها أيام المعزّ العبيدي، بأني القاهرة إلى هذه الأوان، وذلك مائتا سنة وثماني سنين. وقد تفاعل الشعراء مع هذا الحدث المدوّي في أرجاء الدنيا فقد قال العماد الأصفهاني في قصيدته المشهورة :

تـــوفي العاضـــد الـــدعي ممـــا ** يفـــتح ذو بدعـــة عـــصر فمـــا
وعـــصر فرعونهـــا انقـــضى وغـــدا ** يوســـفها في الأمـــور محتكمـــا
قـــد طفئـــت جمـــرة الغـــواة وقـــد ** داخ من الـــشرك كـــل مـــا ضـــطرما
وصـــار شمـــلُ الـــصلاح ملتئمـــاً ** فمـــا وعقـــد الـــسداد منتظمـــاً
لمـــا غـــدا مـــشعراً شـــعار بـــني ** العبـــاس حقّـــا والباطـــل اكتتمـــا
وبـــات داعـــي التوحيـــد منتظـــراً ** ومـــن دعـــاة الإشـــراك منتقمـــاً
وظـــل أهـــل الـــضلال في ظلـــل ** داجيـــة مـــن غيابـــه وعمـــى
وارتبـــك الجـــاهلون في ظلـــل ** لمـــا أضـــاءت منـــابر العلمـــاء
وعـــاد بالمستـــضيء ممتهـــداً ** بنـــاء حـــقٍّ قـــد كـــان منهـــدما
واعتلّـــت الدولـــة الـــتي اضـــطهدت ** وانتـــصر الـــدين بعـــدما هُتـــضما
واهتزّ عطـــف الإســـلام مـــن جَـــذَلٍ ** وافتـــرّ ثغـــر الإيمـــان وابتـــسما
واستبـــشرت أوجـــه الهُـــدى فرحـــاً ** فليقـــرع الكُفْـــر سِـــنّهُ نَـــدما
عـــاد حـــريمُ الأعـــداءِ منتهـــكاً ** الحِمـــى وفيءُ الطغـــاة منتـــهما
قـــصور أهـــل القـــصور أخربهـــا ** عـــامر بيـــت مـــن الكمـــال سَـــمَا
أزعـــج بعـــد الـــسُّكون ســـاكنها ** ومـــات ذُلّاً وأنفـــه رَغِمـــا [1]

١ - كتاب الروضتين في أخبار الدولتين (٢/١٩٥)

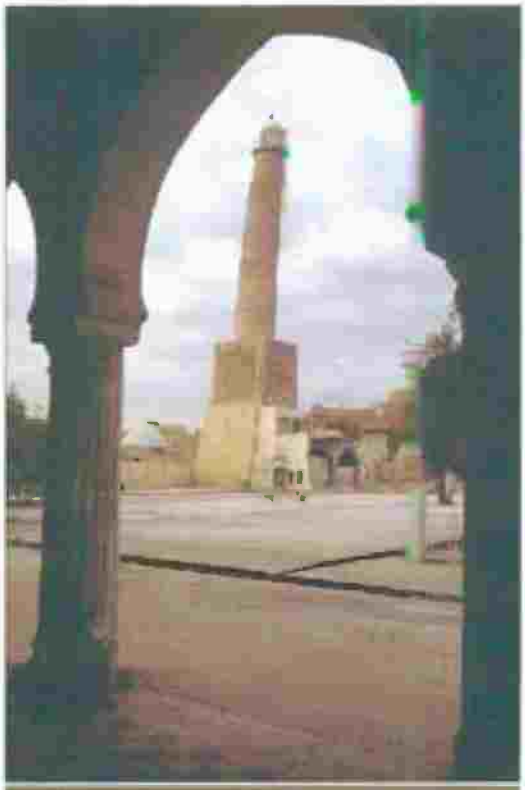

منطقة «الجامع النوري الكبير» وتعرف باسم الحدباء، وهي من أشهر معالم مدينة الموصل، ومن أقدم المآذن في العالم الإسلامي.

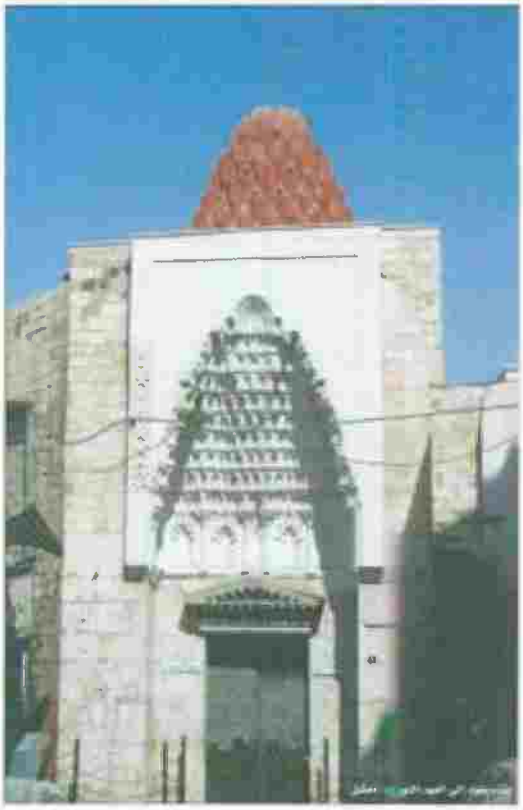

منبر نور الدين: منبر تاريخي شهير يمثل روعة الفن والزخرفة الإسلامية، بناه نور الدين زنكي (رحمه الله) عام ٥٦٤ هـ-١١٦٨م، ليحمل إلى المسجد الأقصى بعد تحريره من الصليبيين. لكنه مات قبل أن يحقق ذلك. فلما حرر صلاح الدين بيت المقدس كما سنذكره في الصفحات القادمة - إن شاء الله تعالى -، أمر بإحضاره من **حلب**، وذلك بعد أكثر من عشرين عاماً من بنائه. ووضعه داخل الجامع القِبْلي: المصلى الرئيسي في المسجد الأقصى المبارك. والمنبر مصنوع من الخشب المطعّم بالعاج والأبنوس، تفنن النجّارون والصنّاع والمهندسون في صناعته الصناعة المتميزة. وكان لترديد النظر فيه على الأيّام ألوفاً، له بوّابة يرتفع فوقها تاجٌ عظيم ثمّ درج يرقى إلى قوس أعلاه وشرف خشبيّة. أتت النيران عليه فدمرته بالكامل يوم أحرق الجامع القِبْلي في حريق الأقصى عام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م. ولدى إعادة ترميم الجامع بين العامين ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م - ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م استحدث منبر حديدي بسيط الصناعة، لا فن فيه ولا نضارة، مكان منبر نور الدين، وهو منبر مؤقت بقي هناك حتى تم إنشاء منبر آخر مطابق للمنبر الأصلي وبنفس المميزات والمواد في الأردن. وتم تركيبه في بداية شهر فبراير عام ٢٠٠٧م.

وفاة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي :

كانت وفاة نور الدين - رحمه الله تعالى - بسبب خوانيق اعترته عجز الأطباء عن علاجها وقد توفي يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال سنة تسع وستين وخمسة مئة" ودفن بقلعة دمشق ثم نقل إلى تربة تجاور مدرسته التي بناها لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله جوار الخوّاصين في الشارع الغربي من دمشق (رحمه الله تعالى) .

القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ هـ - ٥٨٩هـ)

ذكر المؤرخون: أن أسد الدين شيركوه: لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان **صلاح الدين يوسف** بن أيوب، ابن أخيه فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعداداً لمواجهات مستمرة مع الصليبيين المعتدين من جهة، ومع بدع الدولة العبيدية من جهة أخرى.

ففي الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، قامت **الدولة الأيوبية** في خضم الأحداث المضطربة وأخذت على عاتقها مهمة قيادة العالم الإسلامي ومكافحة القوى الأجنبية الغازية: فكان على **الصليبيين** أن يواجهوا السياسة التي رسمها الأيوبيون والقائمة على أساس الجهاد ومكافحة الصليبيين. فبعد وفاة نور الدين زنكي، استطاع صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩ـ٥٨٩ هـ/ ١١٧٣ـ١١٩٣ م) أن يرسخ جذور دولته ويوسع حدودها لتشمل **مصر ومعظم بلاد الشام والجزيرة واليمن والموصل**. وبذلك أصبحت ممتلكات الأيوبيين تغطي مساحة شاسعة من العالم العربي آنذاك، ويرجع الفضل الأعظم في تأسيس الدولة الأيوبية بمصر واستمرارها زهاء ثمانين عاماً إلى شخصية السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القوية وحنكته السياسية، وقدراته العسكرية العالية، وجهاده المتواصل ضد قوى الصليبيين المغتصبين لديار المسلمين، وعن طريق توحيده للجبهة الإسلامية، وجمعه لشمل المسلمين في مصر والشام والجزيرة، والحجاز واليمن، وتأليف كلمتهم، وحسم مادة الفتن بينهم تجنباً لتمزقهم فبذلك ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي، وورث الروح التي سادت في البلاد الإسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله لتحرير بيت القدس، كما ورث جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعد للجهاد وأضاف عليه جيش مصر، و**جيش المغرب** الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين، هذا إلى جانب الجيوش الإسلامية الأخرى.

نسب ومولد صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين) وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية طائفة من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد.

يقول أحمد بن خلكان: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي، جد صلاح الدين، قد أخذ بلدية أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرجا بهما إلى بغداد ومرا هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها على قبره قبة داخل البلد.

ولد صلاح الدين سنة ٢٣٥هـ بقلعة تكريت لما كان أبوه متعمماً بها والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢ هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأنهم أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق بعدها بملك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين.

فتوحات صلاح الدين الأيوبي

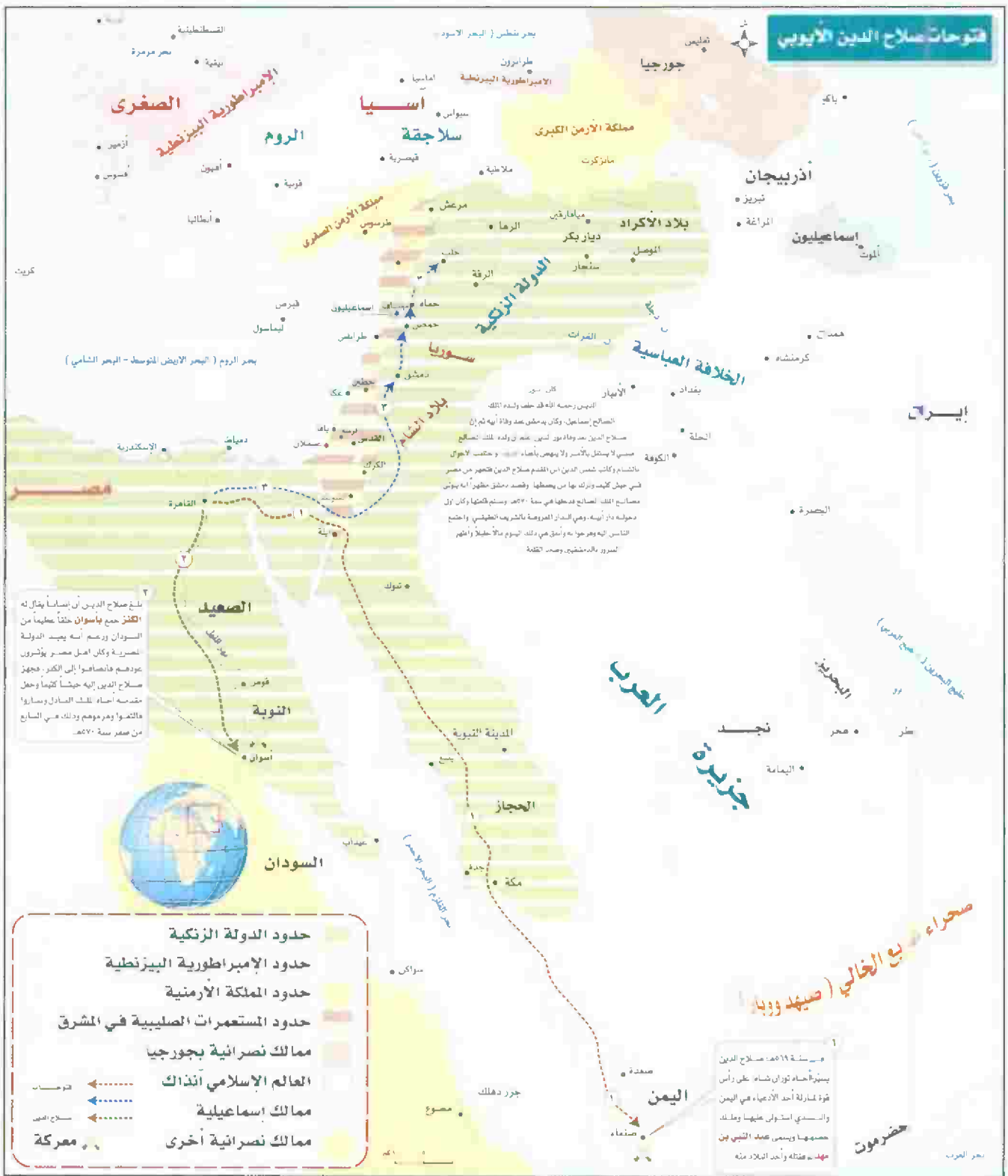

٣ كان صلاح الدين جاداً في لم شمل الأمة الإسلامية تحت لواء واحد؛ فبعد وفاة نور الدين محمود، كان ابنه الملك الصالح إسماعيل لا يزال طفلا، وغير مؤهل لقيادة دفة الحكم، الأمر الذي جعل صلاح الدين يتقدم نحو **دمشق** لضمها تحت سيطرته، وهذا ما حدث في سنة ٥٧٠ هـ، ثم أكمل صلاح الدين سيره فاستولى على **حمص وحماة**، بعد معارك ضد مناوئيه ثم تمكن من دخول **حلب** سنة ٥٧١ هـ وضمها لحكمه.

صلاح الدين الأيوبي وصاحب حصن الكرك (أرناط)

عملة صليبية تعود إلى أرناط صاحب الكرك

بعد أن أصبح الجيشان الشامي والمصري تحت قيادة واحدة، رأى **صلاح الدين** تأديب صاحب الكرك؛ ففي سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢ م. قام أحد القادة الصليبيين يدعى رينو الشاتيوني (Renaud de Chatillon)، صاحب حصن الكرك (جنوب شرقي الأردن)، والمعروف في المصادر الإسلامية باسم **أرناط**، بتجهيز مراكب وشحنها بالرجال وآلات القتال، ومضى بها نحو **عيذاب**. فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى أرض **رابغ بالحجاز** وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاء... وأشرف أهل **المدينة النبوية** منهم على خطر ويرى ابن جبير: أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه من الضريح المقدس. فلما وصل الخبر إلى **مصر**، أمر الملك العادل (شقيق صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية، مع أنجاد من المغاربة البحريين وسار إلى **إيلة**، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدّى إلى **عيذاب** وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها وأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم ما أخذ لهم... وعاد إلى **القاهرة** ومعه الأسارى. فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف. بعداً دينياً، بمعنى أن هدفها كان هو الهجوم على الأراضي الإسلامية المقدسة (إخراج رفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف).

حرص القائد **صلاح الدين** منذ تأسيسه للدولة الأيوبية بتأمين سلامة المرور في البحر الأحمر، وتأمين الملاحة فيه للسفن الإسلامية، إذ كان قيام إمارة **الكرك الصليبية** حافزاً على بذل مزيد من الجهود لتنفيذ سياسته في البحر الأحمر سواء ما يتعلق بالتجارة الشرقية أو **بسلامة الحجاج** الذين كانوا يسلكون منذ أن سيطر الصليبيون على المناطق الجنوبية من الشام الطريق النهري عبر النيل إلى قوص ومنها في الصحراء الشرقية عبر وادي العلاقي إلى ثغر عيذاب ومن عيذاب بالسفن المعروفة بالجلاب إلى **جدة** وتحول درب الحج بذلك من سيناء إلى عيذاب، وتأمين الملاحة في البحر الأحمر، وقصره على خدمة المصالح الإسلامية كان لزاماً عليه التصدي لكل محاولة للعبث في هذا البحر والبطش بأي قوة صليبية تقدم على التسلل إلى عمق هذا المعبر المائي الهام اقتصادياً واستراتيجياً. ولهذا حرص على تحصين مدخل البحر الأحمر الشمالي بالسيطرة على قلعة إيلة التي كان الصليبيون قد اتخذوها لاعتداءاتهم المتكررة منذ أن أسسها بلدوين ملك بيت المقدس في سنة ٥١٠ هـ وحصنها وبنى قلعة أخرى منيعة في جزيرة فرعون القريبة من الساحل فأصبحت هي وقلعة إيلة تتحكمان في القوافل المارة بين مصر والشام والحجاز.

المقر الجديد لقيادة صلاح الدين

الصراع بين المسلمين والصليبيين في البحر الأحمر

بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط - البحر الشامي)

الدولة الأيوبية

بلاد الشام

دمشق

عكا

الأردن

يافا

عسقلان

القدس

فلسطين

الكرك

الشوبك

أسطول الجيش الفاطمي المنهزم

دمياط

الإسكندرية

القاهرة

القلزم

الدولة الأيوبية

مصر

سيناء

تبوك

الصعيد

الصحراء الشرقية

قوص

النوبة

أسوان

نهر النيل

إدريم

السودان

تحول طريق الحج المصري من سيناء إلى عيذاب نتيجة سيطرة الصليبيين على بلاد الشام وأرض فلسطين .

المدينة النبوية

ينبع

بحر القلزم (البحر الأحمر)

رابغ

عيذاب

أرض الحجاز

مكة المكرمة

جدة

وصول الإسطول المصري إلى رابغ ليقطع على الصليبيين الوصول إلى المدينة النبوية، وانزال الهزيمة بالجيش الصليبي على ساحل حوراء هزيمة كبيرة .

تشير المصادر التاريخية: إلى أن المغاربة شاركوا إخوانهم بمصر في التصدي لما عرف في التاريخ بحملة البحر الأحمر ويعتقد أحد الباحثين المعاصرين، أن اسم حسام الدين يدعو إلى التفكير في الأمير حسام الدين لؤلؤ، قائد أسطول صلاح الدين الذي أنزل بقوت أرناط صاحب إمارة الكرك الصليبية هزيمة نكراء في موقعة الحوراء سنة ٥٧٨ هـ. فقد عرف المغاربة بمهارتهم في قيادة السفن والملاحة في البحر منذ عصر مبكر وذاعت شهرتهم في الجهاد البحري في العصر الأيوبي، فكان البحريون منهم موضع احترام للنمس وتبجيلهم، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة هي أعداء الله، وكان قد اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند رابغ و عيذاب وقت تعرضها لعدوان أرناط، واستعان الحاجب حسام الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عبرت من مصر والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقها وأسر من كان بها.

٠ ٥٠ ١٠٠ كم

حدود المستعمرات الصليبية في المشرق الإسلامي

الدولة الأيوبية

١ الجيش الصليبي

٢ الجيش الإسلامي

قلعة الكرك بالمملكة الأردنية الهاشمية والتي شيدها الصليبيون بعد احتلالهم لبيت المقدس

مؤلف يصمم لأطلس داخل قلعة الكرك الأردنية

قلعة الكرك، بناها هولك أوف أنجو (١١٣١-١١٤٣م). ملك مملكة بيت المقدس الأفرنجية. أمنت القلعة السيطرة على جنوبي المملكة و مكنت الملك هولك من بسط سيطرته على حقول القمح في الكرك و طرق التجارة والقوافل. فتحها صلاح الدين الأيوبي وفتك حاكمها ريجالد دوشاتيون المعروف **بارناط**. احتلها العثمانيون في عام ١٥١٦م. قال ابن بطوطة (محمد ابن عبد الله ١٣٠٣-١٣٧٧م) عن قلعة الكرك، في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "ثم يرحلون الى حصن الكرك. وهو أعجب الحصون وأمنعها وأشهرها. ويسمى بحصن العرب. والوادي يطيف به من جميع جهاته وله باب واحد قد نحت المدخل إليه في الحجر الصلد. ومدخل دهليزه كذلك. وبهذا الحصن يتحصن الملوك، واليه يلجأون في النوائب وله لجأ الملك الناصر لأنه ولي الملك وهو صغير السن، فاستولى على التدبير مملوكه سلار النائب عنه. فأظهر الملك الناصر أنه يريد الحج. ووافقه الأمراء على ذلك. فتوجه إلى الحج. فلما وصل الى عقبة أيلة، لجأ إلى الحصن وأقام فيه أياماً. ألى أن قصده أمراء الشام واجتمعت عليه المماليك وكان قد ولي الملك في تلك المدة بيبرس النشنكير وهو أمير الطعام ويسمى بالملك المظفر وهو الذي سن الخانقاه البيبرسية بمقربة من خانقاه سعيد السعداء التي بناها صلاح الدين الأيوبي. فقصده الملك الناصر بالعساكر. فسار بيبرس إلى الصحراء فتبعه العساكر فقبض عليه وأتى به إلى الملك الناصر فأمر بقتله فقتل. وقبض على سلار وحبس في جب حتى مات جوعاً. ويقال انه أكل جيفة من الجوع نعوذ بالله من ذلك."

قلعة الشوبك (مونتريال) بالمملكة الأردنية الهاشمية والتي قام الصليبيون بإعادة بنائها بعد احتلالهم للكرك

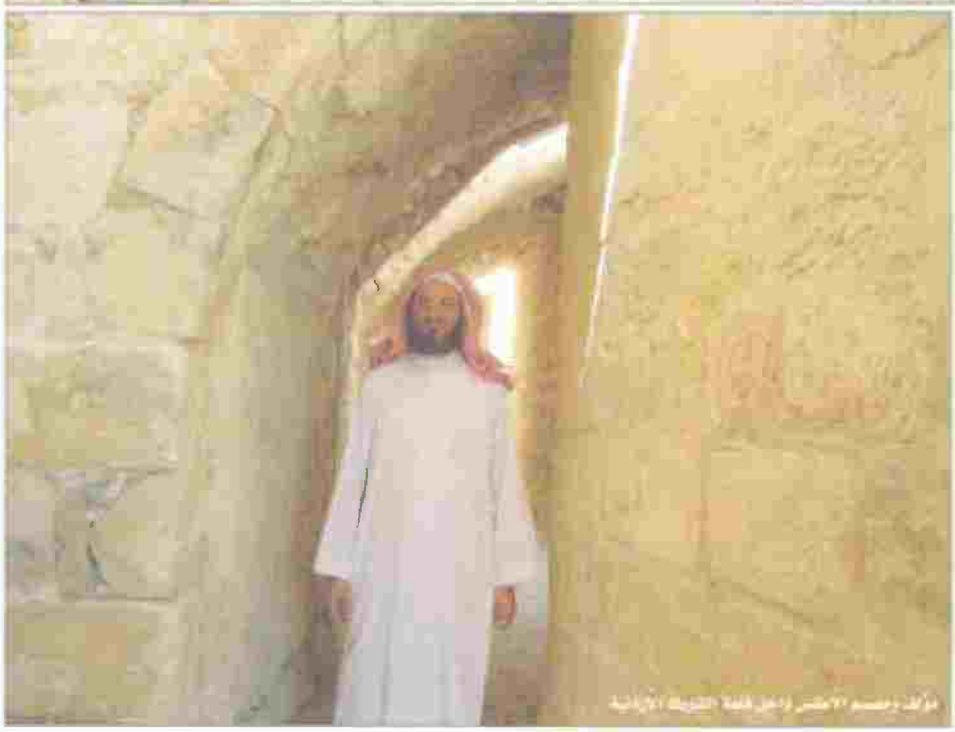

مؤلف وهو يقف أمام مدخل قلعة الشوبك الأردنية

قلعة الشوبك: يرجع تاريخ إنشاء هذه القلعة إلى عصر الأنباط، وظلت كذلك طوال الحكم البيزنطي لمنطقة شرقي الأردن، ثم تجدد بناؤها في فترة الصراع الحربي بين الساسانيين والبيزنطيين وعندما احتل الصليبيون بيت المقدس قام بلدوين الأول بإعادة بناء **قلعة الشوبك**، وسماها مونتريال، ثم استسلمت هذه القلعة لقوات صلاح الدين الأيوبي في سنة ١١٨٩ م بعد حصار طويل دام سنتين، وقد أهتم بها الأيوبيون وكذلك المماليك. وقد أقدم إبراهيم باشا في سنة ١٨٤٠ م على نسفها بالديناميت. والقلعة بمظهرها الحالي هي قلعة إسلامية في منشأتها . عدسة المؤلف

معركة حطين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م)

كانت معركة حطين المباركة على المسلمين في يوم السبت ١٤ ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ في وسط نهار الجمعة وكان صلاح الدين كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية، وكانت تجاوز العد والحصر على تعبئة حسنة وهيئة جميلة، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بعكا عندما بلغهم اجتماع الجيوش الإسلامية . فسار ونزل على **بحيرة طبرية** ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر هجوم الصليبيين عليه؛ إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلهم، وكان نزولهم يوم الأربعاء ٢١ ربيع الآخر. فلما رآهم لا يتحركون نزل على طبرية وهاجمها، وأخذها في ساعة واحدة وبقيت القلعة محتمية بمن فيها ولما بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها، فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها، ولحق بالعسكر فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها، وذلك في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر وحال الليل بين المعسكرين قياماً على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة، فركب الجيشان وتصادما والتحم القتال واشتد الأمر وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون وقد أيقنوا بالويل والثبور، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور. ولم تزل الحرب تضطرم والفارس مع قرنه يصطدم ولم يبق إلا الظفر ووقع الوبال على من كفر فحال بينهم الليل بظلامه، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت؛ فطلب كل من الفريقين مقامه وتحقق المسلمون أن من ورائهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد؛ فحملت جيوش المسلمين من جميع الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة رجل واحد، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين، ولما أحس القوم بالخذلان هرب منهم في أوائل الأمر وقصد جهة صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا منهم، وكفى الله شره وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب، وأطلقوا عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام، وانهزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين، فلم ينج منها أحد واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل **حطين** وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر حتى كانوا يستسلمون للأمر خوفاً من القتل لما مر بهم فأسر مقدموهم وقتل الباقون.

وكان ممن سلم من مقدميهم الملك جفري، وأخوه، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وابن الهنفري، وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جبيل، ومقدم الأسبتار.

قال ابن شداد: ولقد حكي لي من أثق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطهم بوتد خيمة لما وقع عليهم من الخذلان.

لمحات من المعركة

لما وصل الصليبيون إلى السهل الواقع بين لوبيا وحطين شن صلاح الدين هجوماً فروا إلى تلال حطين، فحاصرت قوات صلاح الدين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال. في اليوم التالي ٤ يوليو ١١٨٧م وفي جو شديد ونقص في مياه الشرب قاتلت معركة حطين، وقف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سحب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين، فتضعضعت صفوف العدو وأهلكت منهاه جيش صلاح الدين الصليبيين ثم شن هجوماً بالسيوف والرماح، فقتل وجرح وأسر الكثير، فاستسلم الألوف منهم، وقام الصليبيون بمناورة، فتقدم قائد الفرسان رمون الثالث أمير طرابلس بأمر من غي دي لوسينيان ملك القدس، وانحاز بهجومه هذا قوة يقودها تقي الدين عمر، فظن الصليبيون أنهم فتحوا ثغرة في صفوف صلاح الدين فانضموا فيها، وحصر جيش صلاح الدين جزء من الجيش الصليبي فقسمه إلى شطرين، ودامت المعركة نحو ٧ ساعات على التوالي. سقط فيها الآلاف بين جرحى وقتلى، ووقع الملك غي دي لوزينيان ملك القدس آنذاك في أسر صلاح الدين، بالإضافة إلى العديد من القادة والبارونات، ولم ينج إلا بضع مئات فروا إلى صور و حتموا وراء أسوارها.

معركة حطين

كانت قوات صلاح الدين تضم ١٢،٠٠٠ فارس، و١٣،٠٠٠ من المشاة وقوة كبيرة من المتطوعين ورجال الاحتياط. وفي الجانب الآخر حشد الصليبيون ٢٢،٠٠٠ بين فارس وراجل، والتحق بهم عدد كبير من المتطوعة حتى روي أنه زاد عددهم على ٦٠،٠٠٠ مقاتل.

عبر صلاح الدين بجيشه نهر الأردن جنوبي طبريا، وسار في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاول الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال. وفي ٢ يوليو استولى جيش صلاح الدين على طبرية قاطعاً على عدوه طريقه إلى الماء.

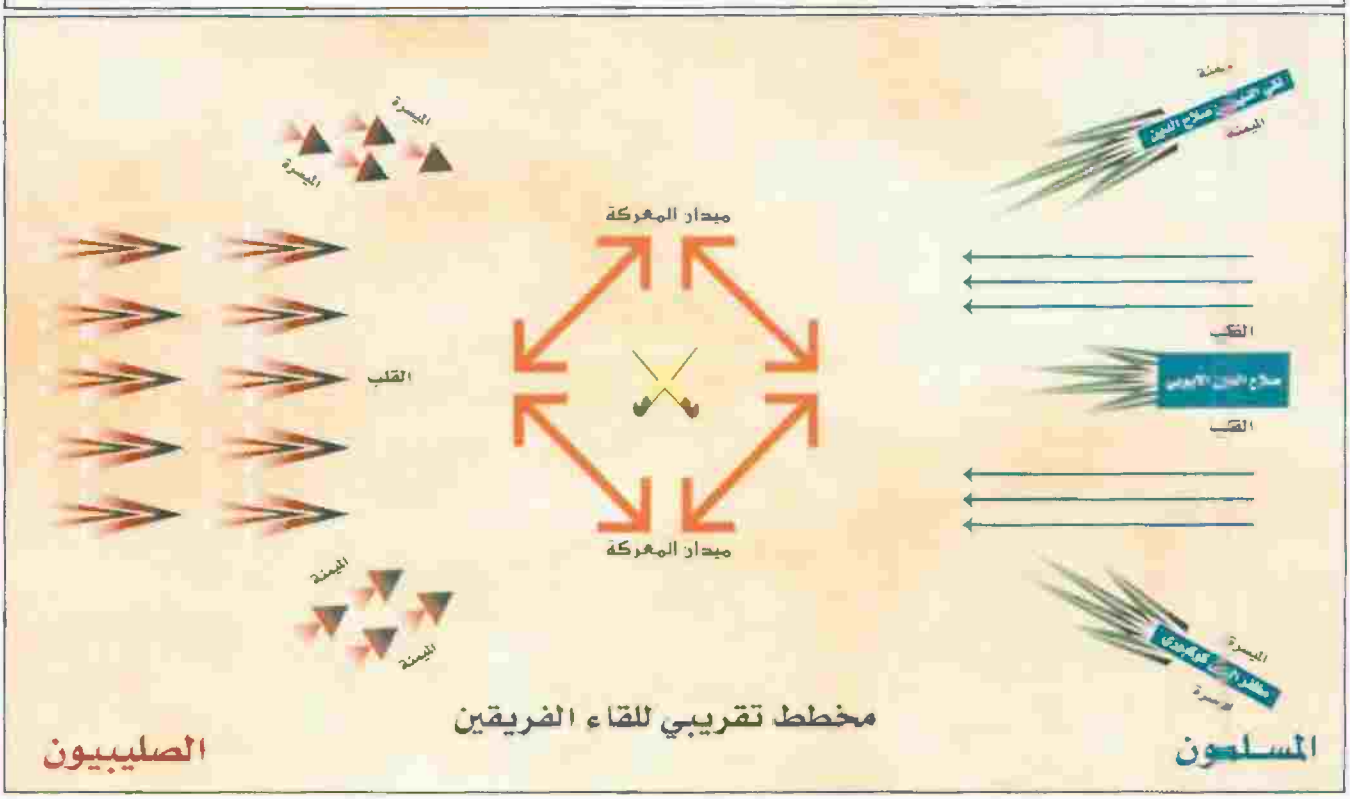

مخطط تقريبي للقاء الفريقين

الصليبيون

المسلمون

سهل حطين والذي دارت على ثراه معركة حطين الخالدة بين المسلمين والصليبيين

مدينة طبرية بفلسطين المحتلة

مرتسم اوربي قديم لمعركة حطين

تحرير عكّا وبعض المدن المحتلة

مرتسم لصلاح الدين الأيوبي في الأدب الأوروبي القديم

رحل صلاح الدين طالباً **عكّا** فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل **الصليبيين** بها صباح يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا **نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة** وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم، ولما استقرت قواعد عكّا وقسم أموالها وأسراها، سار يطلب **تبنين** فنزل عليها يوم الأحد ١١ جمادى الأولى، وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالاً شديداً ونصره الله سبحانه عليهم، فتسلمها منهم يوم الأحد ١٨ عنوة. وأسر من بقي فيها بعد القتل. ثم رحل عنها إلى **صيدا** فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى **بيروت** فنازلها ليلة الخميس ٢٢ من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس ٢٩ من الشهر المذكور وتسلم أصحابه **جبيل** وهو على **بيروت**، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده **عسقلان** أولى؛ لأنها أيسر من **صور** فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد ١٦ من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة **كالرملة والداروم** وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة ٥٨٣ هـ. وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه **غزة وبيت جبريل والنطرون** بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨هـ.

من آثار نصر حطين

لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة عابرة، وإنما كانت فجعة حلت بهم؛ وغدت فلسطين عقب حطين في متناول قبضة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن والثغور الصليبية واحدة بعد الأخرى، حتى توج جهوده بتحرير بيت المقدس في ٢٧ من رجب ٥٨٣هـ = ١٢ من أكتوبر ١١٨٧ م) كما سيأتي توضيحه - إن شاء الله تعالى -.

لقد هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين وقتل منهم ثلاثين ألفاً وأسر مثلهم، وأسر سائر مرائهم وفرسانهم، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس والذي سقاه صلاح الدين قدحاً من الماء وأحسن رعيته، بينما توعد أرناط أمير الكَرَك، الذي قتله صلاح الدين بيده وفاءً لنذر نذره، لأنه كان يؤذي الحجاج المسلمين، وينقض المعاهدات ويهدد بالسير إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعتدي عليه، ووصلت طلائع جيش أرناط إلى عيذاب ورفع على البحر الأحمر كما ذكرنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الأطلس.

★ ★ ★

فتوحات صلاح الدين بعد حطين

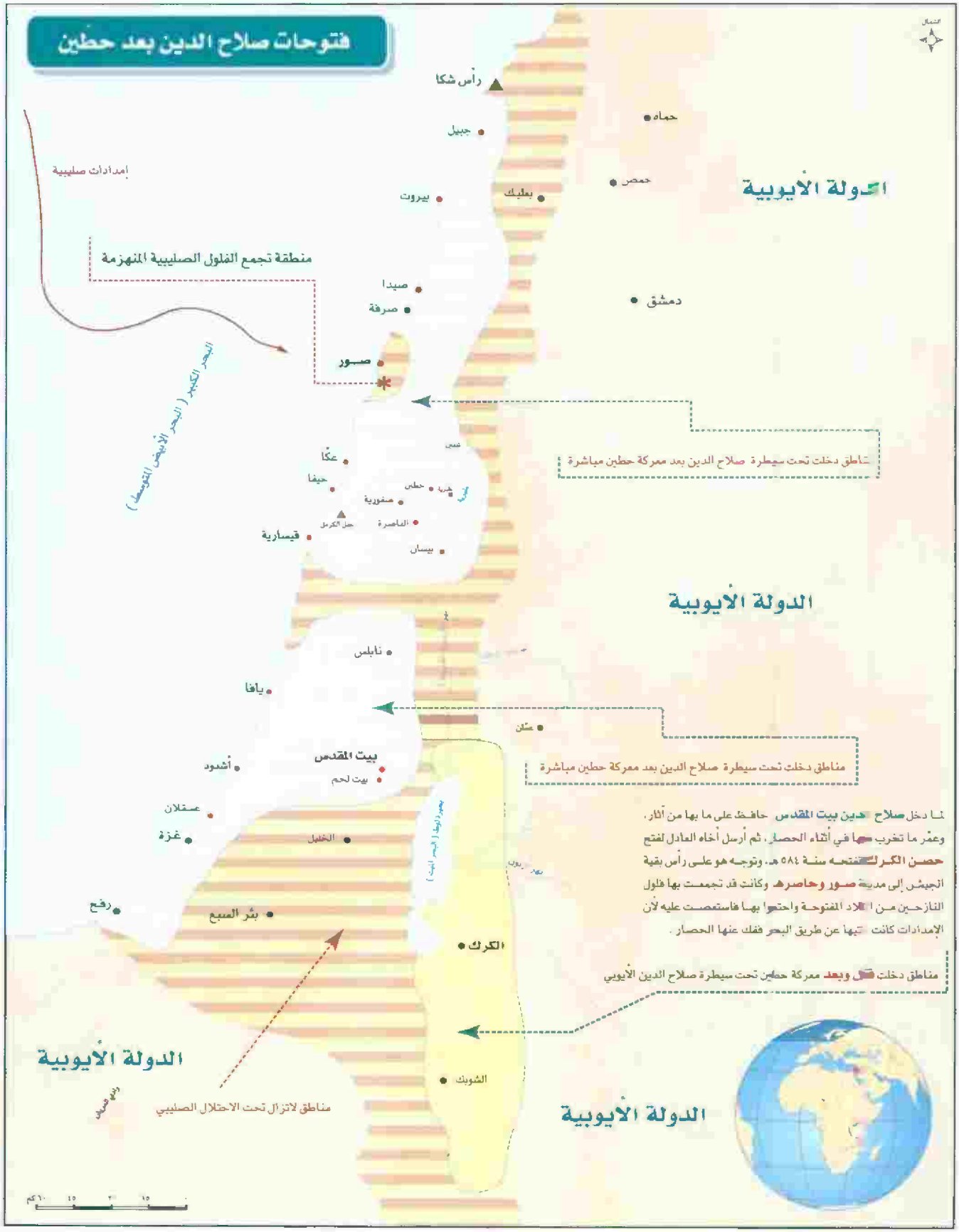

لما دخل صلاح الدين بيت المقدس حافظ على ما بها من آثار، وعمّر ما تخرب منها في أثناء الحصار، ثم أرسل أخاه العادل لفتح حصن الكرك فتحه سنة ٥٨٤ هـ. وتوجه هو على رأس بقية الجيش إلى مدينة صور وحاصرها وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الإمدادات كانت تأتيها عن طريق البحر ففك عنها الحصار.

مناطق دخلت قبل وبعد معركة حطين تحت سيطرة صلاح الدين الأيوبي

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

قال المقريزي: وسار السلطان " وقد اجتمعت إليه العساكر " يريد **فتح بيت المقدس**. فنازله يوم لأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، واقتتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور ونقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار **وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب**، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفاً، مابين رجل وامرأة وصبي، وهم من لايقدر على شراء نفسه. وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج **بصور**. وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالاً وركابنا من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع مالا ينحصر. فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، و**خطب القاضي محيي الدين بن الزاكي** بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا ،فوعظ الناس.

وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم ، وحمل منبر مليح من حلب ، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه. وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة القيامة، ثم فتحت ، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به . وسار العادل مع السلطان ، فنزلا على عكا أول شهر رمضان ، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان. ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شواني ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالإعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، **وأقام السلطان بعكا**، وسار العادل إلى مصر. فطرق الفرنج قلعة كوكب وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ١ / ص ١٩)

كان أول ما قال محيي الدين بن الزاكي في مستهل خطبته بعد فتح بيت المقدس: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين). ثم أورد تحميدات القرين كلها، ثم قال " الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل الدولة للمتقين بفضله، وخص على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا مدافع، أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوصاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ورافض الأفك، الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان " . ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تنبيه الحاضرين بما يسره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس. ابن كثير البداية والنهاية (ج ١٢ / ص ٣٩٧)

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

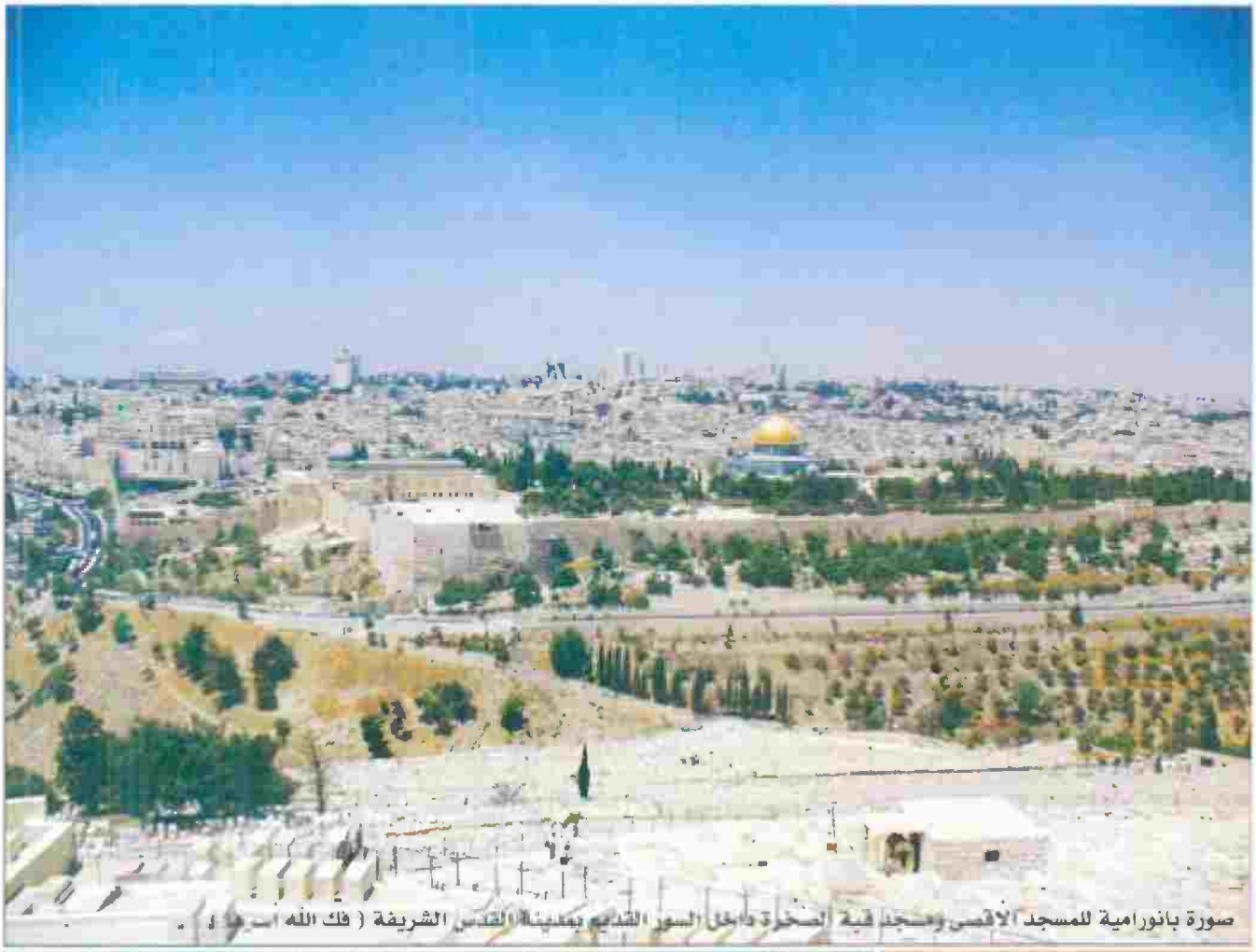

صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس الشريفة (فك الله أسرها) .

دخل صلاح الدين الأيوبي المسجد الأقصى ليلة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ. وأدرك عدم إمكانية الصلاة في المسجد بسبب الحالة التي كان عليها المكان الطاهر: حيث قام الصليبيون بتحويله إلى حظيرة خنازير، ولذا لم تعقد بالمسجد الأقصى صلاة أول جمعة بعد فتح بيت المقدس مباشرة، وإنما جاءت خطبة الجمعة الأولى بعد ذلك بأولى القبلتين في يوم ٤ شعبان سنة ٥٨٣ هـ. وقد ألقى الخطبة في ذلك اليوم محيى الدين بن الزاكي وهو أحد الأئمة الكبار، وأقدم **صلاح الدين** على إظهار ما كان يتمتع به من وفاء عندما أمر بإحضار المنبر من دمشق الذي كان **نور الدين محمود** قد أمر بصنعه وذلك حتى يصعد عليه الخطيب عند إلقائه لأول خطبة جمعة بالمسجد الأقصى بعد تحريره - تقدم الحديث عنه -وهذا من خلق الوفاء الذي امتاز به صلاح الدين، لذلك مكّن الله على يدي هذا المسلم الكردي إعادة فتح بيت المقدس.

صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة

المسجد الأقصى من جهة أخرى

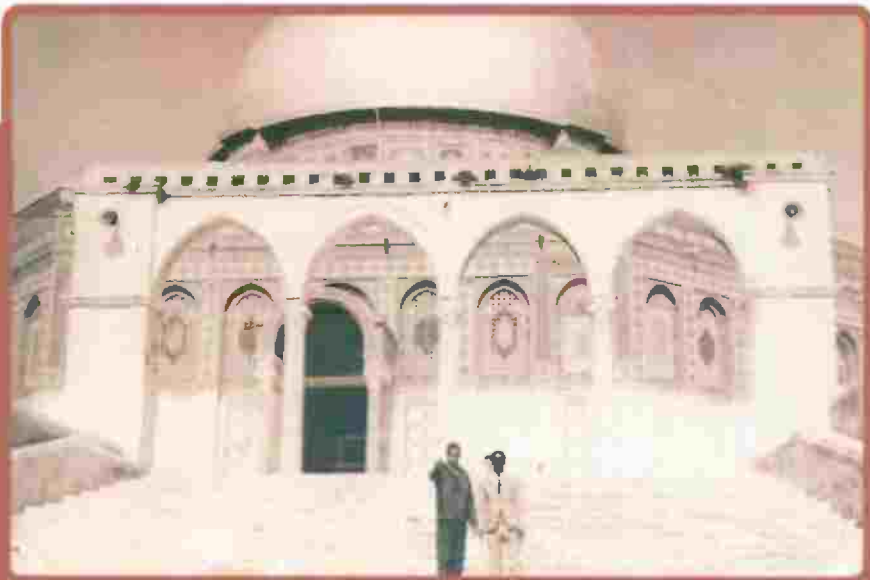

صورة تاريخية لقبة الصخرة قبل سقوط القدس في أيدي الصهاينة

الأستاذان : محمد المحمود، وعبدالله بوشاجع، من مدينة الأحساء بالمملكة العربية السعودية في زيارة لمسجد الصخرة بفلسطين الحبيبة في ٢٩ / ٧ / ١٣٨٧ هـ، أي قبل سقوط القدس الشريف في أيدي الصهاينة المحتلين. هذه الصورة من أرشيف المربي الفاضل أ. عبد الرحمن بن سعد المخايطة.

حصـــار عـــكا

كان السلطان صلاح الدين الأيوبي، قد عانى الأهوال في حصار عكا الذي استمر أكثر من سنتين. ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة قال عنه القاضي الفاضل: . وأما صبره في الجهاد . فقد رأيته بمرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دمامل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس. ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب . ومن العصر إلى المغرب . وهو صابر على شدة الألم . وكان يقول: إذا ركبت يزول عني ألمها حتى أنزل » .

لقطتان لمدينة عكا على ساحل البحر الأبيض المتوسط

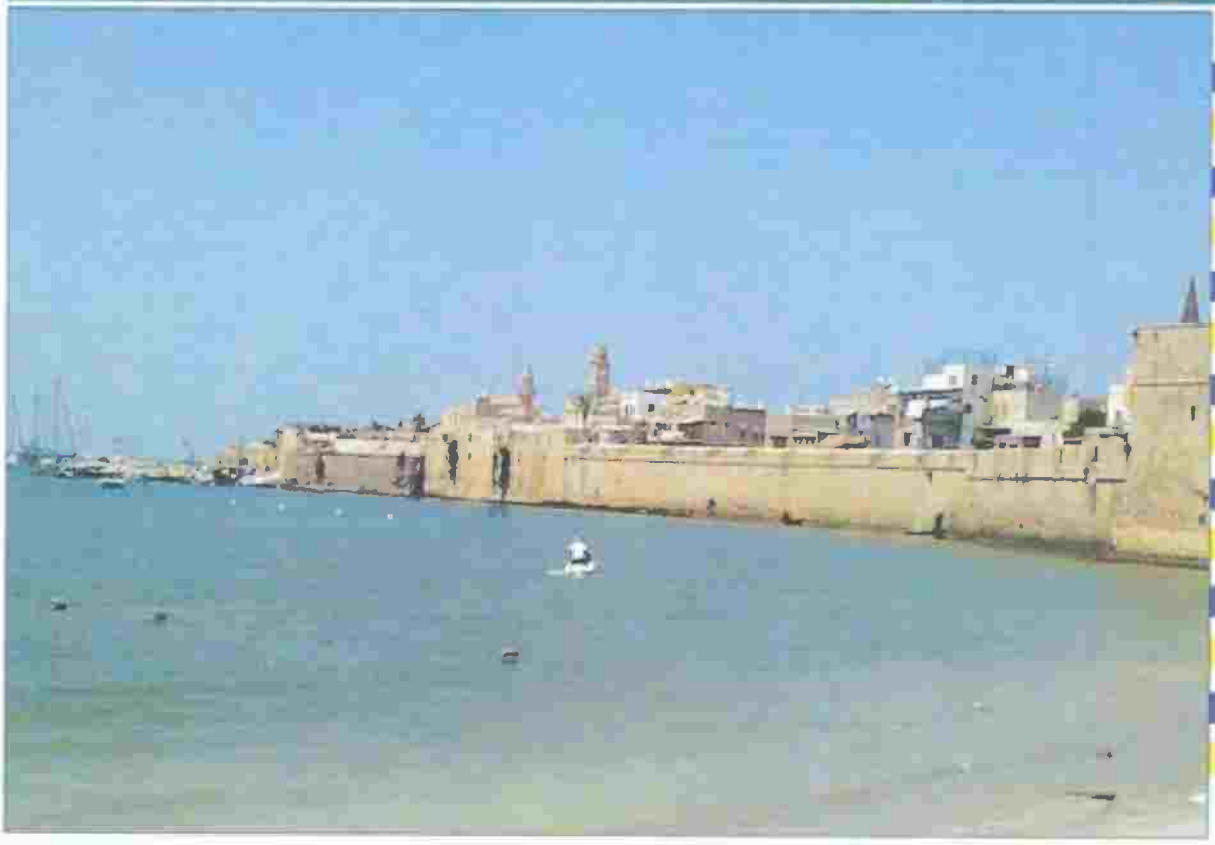

أهم مصادر ومراجع الباب الرابع

١ – القرآن الكريم .

٢ – د. السيد الباز العريني، الحروب الصليبية، أرنست باركر، نقله إلى العربية دار النهضة العربية، بيروت.

٣ – أ . سعيد أحمد برجاوي، (رئيس فخري لدى محكمة التمييز في لبنان) الحروب الصليبية في المشرق .

٤ – د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .

٥ – د. علي محمد محمد الصَّلابي، عصر الدولة الزنكية ونجاح المشروع الإسلامي: بقيادة نور الدين محمود الشهيد في مقاومة التغلغل اليَطني والغزو الصليبي، النسخة الرقمية .

٦ – ابن كثير، الحافظ عماد الدين ابن أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية ، طبعات متعددة .

٧ – مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .

٨ – مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.

٩ – د . مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية،دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.

١٠ – الشيخ / محمود شاكر، التاريخ الإسلامي ، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي .

١١ –أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، نشر وتوزيع مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.، العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد.

١٢ – د. سعيد عاشور، مصر والشام في العهدين الأيوبي والمملوكي .

١٣ – د. نعمان محمود جبران د. محمد حسن العمادي، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

١٤ – أ. أحمد تمام إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .

١٥ –شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٦ – أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .

١٧ – موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .

١٨ – سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .

١٩ – شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.

٢٠ – ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٢١ – د . طارق السويدان، فلسطين التاريخ المصور، نشر وتوزيع الإبداع الفكري – الكويت.

٢٢ – محمد بن عبد الله الطنجي (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، المكتبة العصرية، صيدا – بنان

٢٣ – ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

٢٤ – د . فهمي توفيق مقبل، الفاطميون والصليبيون، الدار الجامعية، بيروت، لبنان .

٢٥ – انتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، نقلها إلى العربية ، أ . أحمد غسان سبانو ، و أ . نبيل الجيرودي .

٢٦ – فولفغانغ موٌلر – فينر ، القلاع (أيام الحروب الصليبية)، ترجمة محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيّان .

٢٧ – الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.

٢٨ – القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، نسخة رقمية .

٢٩ – د. محمد بن حامد الأحمري، أطراف الجزائر .

٣٠ – أبو الحسن: محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير .

٣١ – ابن القلانسي، تاريخ أبي يعلى، النسخة الرقمية.